

الى هابيون والحجاز

طائفة من مقالات نشرت في المنار والاهرام

بقلم

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

بمصر

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٤

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ،
والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، الذي أكمل الله تعالى
إبعثته الدين ، وما أرسله إلا رحمة للعالمين ، لينذر من كان حياً ويحقق القول على
الكافرين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الهداة المهديين ، ومن تبعهم
في هدى الله وهدى رسوله إلى يوم الدين

أما بعد فقد علم من سنة الله تعالى في خلقه ، مصداقاً لما بينه الله تعالى في كتابه
أن هداية الرسل الأمم تكون على أكملها فيمن اتبعهم في عصرهم والأعصر التالية له ،
وكما تراخى الزمان ، ظهر الفسق والعصيان ، ونجست قرون البدع ، وفشا
التحريف والتأويل ، وكثر ما يكرهه الله سبحانه من القال والقال ،

وقد قص الله علينا في كتابه من أخبار الأمم مع رسلهم عامة وأخبار أقربهم
مننا في الزمن وهم اليهود والنصارى خاصة ما فيه العبرة والذكرى لتتقي التهور^(١) فيما
تهو كوا فيه قبل أن يقع ، ولنكون على بصيرة من ديننا فيه اذا وقع ، وقد علم سبحانه
وأعلم رسوله أنه واقع لا محالة لأن سنن الله تعالى مطردة لا تبدل لها ولا تحويل ،
وهو صلوات الله وسلامه عليه قد أعلمنا بذلك لنكون على بصيرة من أمرنا فيه ،
ولا يلتبس علينا الحق بالباطل كما التبس عليهم ، فقال « لتتبعن سنن من قبلكم
شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يا رسول
الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ » رواه الشيخان وغيرهما بألفاظ متقاربة

وقع ذلك كله حتى عم البلاد الإسلامية ، والا كثرون من المسلمين يجهلون ذلك
فهم لا يشعرون أنهم غيروا وبدلوا ، وحرفوا وأولوا ، وأحدثوا وابتدعوا ،

(١) التحير والتهور والوقوع في الشيء بغير مبالاة . اه قاموس

وفسقوا عن أمر ربهم ، وأن ما نزل بهم من النزل ، وضياع الملك ، واستيلاء
الاجانب على أكثر بلادهم ، عقوبة من الله تعالى على ابتداعهم وفسقهم ، كسنته فيمن
قبلهم ، قال الله تعالى في أوائل سورة الاسراء (وقضينا إلى بني اسرائيل في
الكتاب لتُفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً * فإذا جاء
وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ،
وكان وعداً مفعولاً * ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين
وجعلناكم أكثر نفيراً * إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد
الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كدخالهم أول مرة وليتبرأوا ما علوا
تتبرأ * عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً)
وان كثيراً منهم ليعلمون هذا بالاجمال حتى ان خطباء مساجدهم ليقولون
من أعلى منابرهم : لم يبق من الاسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه .
وأمثال هذا القول - ثم لا يحمل هذا العلم ولا هذا التصريح به على عمل ، ولا على
تركه زال ، بل هم يعادون كل من دعا إلى السنة ، ويصرون على ما ألفوا من
البدع الدينية ، لأنها دخلت عليهم من باب الدين ، وفتنوا بمن عمل بها ممن يلبسون
لباس الصالحين ، حتى انهم إذا اعترفوا بأنها بدع قالوا ، انها بدع حسنة ، خلافاً
لقول رسولهم (ص) « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وخلافاً لقول الله عز
وجل (اليوم أكملت لكم دينكم) وجهلاً بكون البدعة التي تنقسم إلى حسنة وسيئة
لا تكون في التشريع الديني والزيادة في العبادات أو التصرف فيها يجعل ما ليس
بشعار شعاراً ، وانما تكون فيما وراء ذلك من الامور الموكولة إلى اجتهاد الناس
من الاعمال والمصالح الدينية والدينية كابتداع آلات للقتال تزيد في قوة الأمة
على حفظ دينها ودنياها الذي يدخل في عموم قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة) وكتعبيد الطرق وتسهيل سبل المواصلات للمنافع الدينية والدينية

المشروعة ولا سيما طريق الخبز بإنشاء السكك الحديدية وأمثالها ، وكتأليف الكتب المفيدة في ضبط لغة الدين (العربية) وغيرها من العلوم الشرعية ، أو الفنون العملية النافعة

ومما خص الله تعالى بهذه الأمة المحمدية أن الكتاب المنزل لهدايتهم من عند الله تعالى قد نزل بالتواتر القطعي حفظاً في الصدور وكتابة في الأصاحف ، فلم يضع وإن يضيع منه كلمة ولا حرف واحد ، ولم يتغير وإن يتغير منه لفظ واحد ، وإن السنة المحمدية وسيرة سلف الأمة الصالح قد رويتا بالأسانيد ودونتا في الكتب بعناية يسهل معها التمييز بين الصحيح وغيره متناً وسنداً ، ولولا هذا وذاك لضاع ديننا كما ضاعت أديان من قبلنا ، حتى أقرب الناس منا تاريخاً ، فقد طرأ على كتبهم التحريف بالزيادة والنقصان والتغيير ، وفقدت أصولها التي كتبت في عهد من أوحيت اليهم وليس لشيء منها أسانيد متصلة بهم

ومما خص الله به هذه الأمة أيضاً أنها لا تجتمع على ضلالة وأنه لا يزال طائفة منها ظاهرين على الحق ، وإن الله تعالى يبعث منها مجددين لأمر الدين ، كما ورد في الأخبار المرفوعة من صحيحة وحسنة ثبتت صحة معانيها بالفعل . وقد كان انتفاع جماهير المسلمين بهؤلاء المجددين المصلحين يختلف باختلاف أحوالهم وأحوال أهل عصورهم في العلم والعمل ، والقوة والضعف في رسوخ التقاليد والبدع ، وكان من أجلهم في القرون الوسطى قدراً ، وأنبيهم ذكراً ، شيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى فقد آتاه الله من المواهب ما يندر أن يجتمع لأحد من البشر : سرعة الحفظ وعدم النسيان وقوة الاستحضار ، وقوة الاستنباط وقوة الاستدلال ، حفظ القرآن وما روي من تفسيره من الأحاديث المرفوعة وأقوال الصحابة والتابعين ، حفظ كتب السنة وأقوال رجال الجرح والتعديل في أسانيدها ، حفظ ما يروى عن الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار من الآثار في العقائد والآداب الدينية والأحكام الشرعية ، نظر في كتب المذاهب المدونة

وأدلتها ، فكان يستحضر ذلك كله عند التأليف أو الافتاء ، قرأ كتب الملل والنحل ، ومقالات فرق الاسلام وكذب المنطق والفلسفة والكلام والتصوف ثم تصدى بذلك كله الرد على النصارى وأهل البدع ، وألف في ذلك المصنفات الدالة على سعة اطلاعه وقوة حجته ، ووجه جلّ عنايته لنصر السنة وترجيح مذهب السلف على كل ماخالفه من أقوال المتكلمين والمتصوفة حتى المنسوبين إلى السنة منهم فلم يدع بدعة ولا قوة تخالف الكتاب والسنة ، ولا سيرة السلف الصالح إلا وبين بطلانها وضلال أهلها ، مميّزاً بين الحق والباطل ، والإيمان والكفر ، والهداية والضلالة ، والطاعة والمعصية ، ولم يقتصر في ذلك على تصنيف الرسائل والكتب الممتعة ، والمفتاوي المفصلة ، بل كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وينظر المخالفين ، ويستتنبئ المبتدعة والفاسقين ، لا يحابي حياً ولا ميتاً لكبر شهرته ، ولا لكثرة أنبائه ، ولا لضخامة ألقابه ، وكان مع هذا كله من أعبد العباد ، وأفراد الزهاد ، وقد حلّت من المشكلات ، وكشف من الشبهات وفند من التأويلات ، ما عجز عن مثله فحول العلماء ، وضلّ به كثير من المتكلمين والصوفية والفقهاء .

وقد تلقى عنه وتخرج به كثير من العلماء المحققين في علوم الشرع كلها أشهرهم وأقربهم منه العلامة ابن القيم صاحب التصانيف التي نالت من القبول فوق ما ناله كتاب عند الجمهور لأسباب أهمها لين عبارته ، وخفة وطائه على المخالفين ولا سيما بعض أكابر المتكلمين والصوفية

هذا وقد شهد لشيخ الاسلام أكابر العلماء المنصفين ولا سيما حفاظ الحديث بما لم يشهدوا به لغيره من أهل عصره حتى اعترفوا له بالاجتهاد المطلق ، وتصدى لعداوته وإيذائه وصده عن نصر السنة وأحياء مذهب السلف الصالح بعض كبار العلماء الرسميين ، المقرّبين من الملوك والسلاطين ، المفتونين بتأويلات المتكلمين والجامدين على أقوال أمثالهم من مفتة المقلدين ، حتى كان أقوى ما آخذوه به

تفسير الآيات والاحاديث الصحيحة الواردة في صفات الله تعالى وعلمه على خلقه بما فسرهابه علماء السلف حتى أئمة المذاهب المتبعة ، وطلبوا من السلطان استنابته من قراءة هذه الآيات والاحاديث على الناس !! فأوذى وحبس في هذه السبيل بما هو معروف في كتب التاريخ ، وظل أخلاق أولئك المقلدين الجامدين يصدون الناس عن كتبه إلى أن أحيها الله تعالى في بلاد نجد بظهور مجدد الداعي إلى الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وأنصارهم من آل سعود أمراء نجد في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ، ثم في نهضة الإصلاح الجديدة بمصر والهند وغيرها من البلاد الإسلامية في عهدنا هذا من القرن الرابع عشر ، فان كتبه صارت تطبع وتلاقي من الزواج والانتشار عند أولي الاستقلال في الفهم ، والاهتمام بالعلم مالا يلاقي غيرها في موضوعها إلا كتب تلميذه ووارث هديه ابن القيم رحمهما الله تعالى

وكان الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجددًا للإسلام في بلاد نجد بارجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم إلى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية ، وإنما كان نجاحه سريعاً بتأييد آل سعود له ومنعهم إياه ممن يريد به سوء ، وما كان آل سعود أقوى شيوخ عشائر نجد وأمراءها ، ولكن الله نصرهم بنصر دينه ، فكان من أمرهم ما كان من فوز وفلاح ، ثم من بلاء وامتحان ثم ما كان من رد الله الكرة لهم في هذه الأيام ، ذلك بأن أمراء مكة المفسدين في الأرض ، الملحدون في الحرم ، قد تصدوا لمقاومة دعوة الإصلاح والتجديد الوهابية من بدء ظهورها ، فأذاعوا في العالم الإسلامي كله أنها دعوة كفر وابتداء وعداوة للمسلمين والإسلام ، وكان مقامهم بمكة المكرمة مسهلًا لهم ذلك وصدقهم أكثر الناس الذين هم أتباع كل ناعق ، وسعوا لحل الدولة العثمانية على قتال آل سعود وهي استعانت على ذلك بالدولة المصرية العلوية الجديدة ، ولسنا بصدد بيان الماضي هنا ، وإنما نحن بصدد بيان عاقبة أمرهم وأمراء مكة المعروفين بالشرفاء

أما الدولة العثمانية فقد استمرت على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل لا اعتقادها أنهم يريدون تأسيس دولة عربية قوية تزيل ما لهم من السلطان في جزيرة العرب ويتبع ذلك هدم الخلافة التركية ، ثم ظهر لها أن مصلحتها تقضي بالاتفاق مع آل السعود والاعتراف لهم بسيادتهم على نجد وملحقاتها حتى ما كان بيد الدولة منها ففعلت ذلك ، وعلم بذلك أنها لم تكن تعاديهم لسبب ديني كما كان يظن الجاهلون

وأما أمراء مكة المعروفون بالشرفاء فظلوا على ضلالهم في الطعن على دين الوهابية واقتراء الاكاذيب عليهم ، وكان أشدهم اسرافا في الطعن وفي عداوة آل سعود الأمير حسين بن علي ، ولما خلاص أمر الحكم في الحجاز له وحده بتقلص ظل الدولة العثمانية عنه واعتراف الانكليز واحلافهم بالملك له عليه ظن أن الفرصة قد سمحت له ومكنته من الاستيلاء على نجد وجعلها تابعة لملكه الوهمي فما زال يكيد ويدس الدسائس لآل سعود حتى آل تخرش بهم ، وإلحاده في الحرم إلى زحف السلطان عبد العزيز آل سعود على الحجاز وإتقاده من هذا الطاغوت الذي لقب نفسه بالمنقذ ومن أولاده المفسدين

كان هذا الزحف مغريا لدعاة الملك حسين في مصر بتجديد الطعن في الوهابية ومنبها لأذهان الناس ، ومرغبا لها في البحث عنهم ، ومعرفة كنه حالهم وحال حسين معهم ، فرأينا أن من الواجب علينا أن نبين لهم ما عندنا من العلم بذلك في جريدة يومية واسعة الانتشار ، فانشأنا بضع مقالات نشرناها في جريدة الاهرام اليومية وفي مجلة المنار ، كان لها من حسن الوقع والتأثير ، ووقوف الجماهير على حقيقة أمر الوهابية فوق ما كان ينتظر ، فعلموا أن هؤلاء النجديين المنبوزين بلقب الوهابية سنيون مستمسكون بمذهب السلف في العقائد ، وبمذهب الامام احمد بن حنبل في الفروع ، وأنهم أشد شعوب المسلمين في هذا العصر اتباعا ،

وأبعدهم عن الابتداع وارتكاب المعاصي ، ولهذا كان نصر الله تعالى لسلطانهم على الشرفاء عظيمًا ، ولولا معرفة حالهم لكان استيلاؤهم على الحرمين الشريفين خطباً أليماً .

ولقد كان هذا النصر المبين ، مصداقاً لقول الله تعالى (والعاقبة للمتقين) ولقوله (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) كما كان سرور المسلمين المستنيرين به دليلاً على أن الاستعداد للإصلاح الإسلامي الحق بالتوحيد الخالص وترك البدع والخرافات والتقاليد الوراثية الباطلة قد صار الآن أقوى مما كان في عهد النهضة الأولى للوهابية

على أنه لا يزال للوهابية خصوم من أهل البدع والخرافات ، ومن المنهمكين في المعاصي والشبهوات في مدن الحجاز ، لأن حكومتهم منعت النوعين كليهما ، ولم يكن لهؤلاء حجج فيما مضى إلا الاقتراء عليهم ، وكان كثير من الناس يصدقونهم فيهم لأنهم لم يعرفوا حقيقة حالهم ، لأنهم يعيشون بمعزل ، وقل أن يسافر أحد إلى بلادهم ، أما وقد أصبحوا في الحجاز فسيراهم الألوف من جميع الشعوب الإسلامية في كل عام ، ويستغنون عن التعريف بهم ، وعن الشهادة لهم وقد رأيت أن أطبع طائفة من مقالات (الوهابيون والحجاز) في رسالة مستقلة لأنها تعد فصلاً من فصول هذا الانقلاب التاريخي في الحجاز بل في الإسلام ، ليطلع عليها بعض من لم يقرأها في الأهرام ولا في المنار ، ففعلت وعلى الله توكلت ، (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره) قد جعل الله لكل شيء قدراً)

محمد رشيد رضا

منشيء المنار

الوهابيون والحجاز

(١)

لو حدثت إغارة الوهابيين على الحجاز في عهد الدولة العثمانية أقامت قيامة العالم الاسلامي ولرايت الجرائد العربية في الشرق والغرب والجرائد التركية والهندية والفرسية والتتارية والملاوية تشن عليهم غارة التضليل والتكفير، وتجمع لاعانات المالية لقتالهم بالقناطير، ذلك لما كان لجاهير الشعوب الاسلامية من حسن الظن وقوة الرجاء بالدولة ومن سوء الظن بالوهابيين، أما وقد حدثت في هذا العهد فاننا نرى ضلع الرأي الاسلامي العام مع الوهابيين، لان ما كان خفياً من قوة دينهم واعتصامهم بالسنة ورفضهم للبدع وكرهاتهم للسلطة والنفوذ الاجنبي قد ظهر لخواص المسلمين وبدأ يظهر لعوامهم، ولان جميع الشعوب الاسلامية تمتعت هذا الرجل الذي تولى أعداء الاسلام في الحرب والسلام، فصرهم على المسلمين واعتمد عليهم في طمعه في خلافة الاسلام وملك العرب تحت ظلمهم وحمايتهم، فبمساعده ومساعدة أولاده استولوا على البلاد العربية التي هي مهد حضارة الاسلام من حدود مصر الى خليج فارس، ويحاولون جعل ما بقي للعرب من عقر دارهم في جزيرتهم المقدسة تحت ظل تلك الدولة التي جعلته ملكاً مستبداً في الحجاز، ليهون على أهله وضعه تحت سيادتهم مباشرة في يوم من الايام، وسمت أحد أولاده ملك العراق، وآخر منهم أمير الشرق العربي أو أمير شرق الاردن، ويطمع أن تسميه ملك فلسطين ليخضع لها مسلموها كما آمنها من تعدي الاعراب المجاورين لها

فقد ظهر لجميع شعوب العالم الاسلامي أن هذا الرجل وأولاده هم شر نكبة

نكس بها الاسلام في هذا العصر فصارت تنمى زوال سلطته عن مهد الاسلام، ويرى أنه لا يرجى لذلك غير هؤلاء النجديين البواسل الذين صارحهم هو بالعداوة والاذى بما جدد من دعاية سلفه الطالح من الطعن في دينهم ورميهم بالكفر، وادعائه أن الاسلام يوجب عليه قتالهم، والمصلحة العربية توجب عليه إخضاعهم لسلطانهم، وجمعهم نابين للملك، ومنعهم من أداء فريضة الحج - على ما عرف عنهم من إباء الضير وعدم الصبر على انتهاك حرمت الله - الى تحكيمه ما شاء في إقامة ركن الدين الاجتماعي الم في بيت الله، وظلم من شاء فيه بالضرائب المختلفة وظلم أهله في كل شيء - فهذه اسباب الرجاء في النجديين بالأجمال (١) لا حب التوسع في السلطان والتبسط في الملك الذي يرميهم بالشرك بين حسين هو ودعائه وجرائده من باب «رمتني بذنبا وانسلت» ونحمد الله تعالى أن هؤلاء الدعاة قتلوا وقلت الجرائد التي تنشر لهم أفكارهم وبهتانهم

ولكن بقي من الناس من يسيئون الظن بالوهابية و يظنون أنهم أصحاب مذهب مبتدع في الاسلام، وذلك بتأثير الدعاية المنتشرة منذ قرن وربع قرن في الطعن فيهم - وتأثير انتشار البدع واشتهارها حتى صار بها المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فلا أخذون بهذه البدع يمدون كل منكر لها وهايباً، ويضيفون الى ذلك ما حفظوه من البهتان الذي جرده الملك حسين في جريدته القبلية من رميهم بتكفير من عداهم من المسلمين وإنكار شفاعته النبي (صلى الله عليه وسلم) ونحرهم الصلاة عليه وزيارة قبره كسائر القبور، بل تجرأ حسين المكي وأمثاله على رميهم بالطعن في شخصه الاكمل وتفضيل الصاعا عليه برأه الله تعالى ولعن كل مجتري على مقامه الشريف

هذه البهائم كان يبينهم بها أمير مكة وأعوانه في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة عند ظهور أمرهم لتنفيذ المسلمين منهم، ولما استولوا على مكة المكرمة سنة

١٢١٨ بقيادة الأمير سعود جمعوا علماءها وفي مقدمتهم مفتي الحنفية ومفتي المالكية وبينوا لهم مذهبهم وخطتهم في تجديد دعوة الإسلام فوافقوهم عليها إذ كروا لهم ما كان أذيع من الطعن الذي أثيرنا إليه آنذا فنجبوا وتبرؤا منه
إننا لم نر أحدا من البهاتين الذين بطعنون فيهم ينقل شيئا من كتبهم ونحن في بياننا للحقيقة ننقل من كتبهم ومن كتب غيرهم ولا نقول شيئا من عندنا بغير دليل :

بيان الوهابية لمذهبهم

جاء في رسالة للشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد صاحب الدعوة وصف فيها دخول جماعتهم مكة مع الأمير سعود سنة ١٢١٨ ومناظرتهم للعلماء فيها وإعطائهم رسائل والده الشيخ محمد عبد الوهاب - أنه كان مع علماء مكة الذين حضروا مجالسه حسين الأبريقي الحنفي ثم الخباني وكان يسأل عن أصل هذه الدعوة فيجيبونه فذكر أحدهما قوله الشيخ عبد الله وهو ما نصه :
« فأجبناه بأن مذهبنا في الأصول مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم والأعظم والأحكم ، خلافا لمن قال : طريقة الخلف أعلم ، وهي أننا نقرأ آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ونكمل علمها إلى الله مع اعتقاد حقائقها ، فإن (مالكا) وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والایمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة »
ثم قال « ونحن أيضا في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل . ولا ننكر علي من قلد أحد الائمة الاربعة دين غيرهم » الخ (ص ٤٤ من كتاب الهدية السننية والتحفة النجدية)

ثم قال : « وأما ما يكذب علينا سترنا للحق ، وتببسا على الخلق ، بأننا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق أهوانا ، من دون مراجعة

شرح، ولا تعويل على شيخ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا النبي رمة في قبره، وعصا أحدنا أنفع لنا منه، وليس له شفاعة؛ وإن زيارته غير مندوبة، وأنه كان لا يعرف معنى لا اله الا الله حتى نزل عليه (فاعلم أنه لا اله الا الله) مع كون الآية مدنية — وأنا لا نعتمد على أقوال العلماء فنتلف مؤلفات أهل المذاهب، ليكون فيها الحق والباطل — وأنا نكفر الناس على الإطلاق، أهل زماننا ومن بعد الستمائة الا من هو على ما نحن عليه — ومن فروع ذلك أنا لا نقبل بيعة أحد الا بعد التقرير عليه أنه كان مشركا وإن أبويه ماتا على الشرك بالله، وإنما ننهي عن الصلاة على النبي (ص) ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا — وإن من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى المديون — وأنا لا نرى حق أهل البيت رضوان الله عليهم « الخ
ثم قال: « فجميع هذه الخرافات (أي التمولات) وأشباهاها لما استفهنا عنها من ذكر أولا كان جوابنا في كل مسألة من ذلك (سبعانك هذا بهتان عظيم) فمن روى عنا شيئا من ذلك أو نسبه إلينا فقد كذب علينا واقترب، ومن شاهد حالنا، وحضر مجالسنا، وتحقق ما عندنا، علم قطعيا أن جميع ذلك وضعه علينا واقتراء أعداء الدين، وإخوان الشياطين، تنفيرا للناس عن الأذعان باخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص الله عليه بأن الله لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » الخ (ص ٤٦ من الهدية)

ثم قال: « والذي نعتقد أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلم عليه، وتسبب زيارته الا أنه لا يشد الرحل الا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس. ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه — عليه الصلاة والسلام — الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفي همه

وغمه كما جاء في الحديث عنه، ولا ننكر كرامات الاولياء ونعترف لهم بالحق واهم على هدى من ربهم متى ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية، الا أنهم لا يستحقون شيئاً من أنواع العبادات لا في الحياة ولا بعد الممات « الخ ما فصل به ذلك الاجمال من انكار ما بهتوا به . فمن شاء التفصيل فليطالع (الهدية السنية والتحف الوهابية المنجدية) وهي توزع في مكتبة المزار بغير ثمن

وقد كنت لدى الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في أوائل الشهر الماضي فذكرت الوهابية وسبب الطعن فيهم وكان من حاضري المجلس الاستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان والاستاذ الشيخ محمد شاكر والاستاذ الشيخ احمد هارون والاستاذ الشيخ الظواهري وغيرهم من كبار العلماء فبينت لهم تاريخ لمسألة ومن كتب فيها على بيته من المؤرخين عند استيلاء الامير سعود على الحجاز ثم ذهب أحد سعاة سكرتارية الازهر الى مكتبة المنار فجاء بعشرات النسخ من الهدية السنية ووزعت عليهم وقرأ الاستاذ الاكبر ما نقلناه هنا وما فصل فيها مما لم نقله واعترف بأنه مذهب أهل السنة والجماعة إلا أنه قال : ان حديث « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى » قد أوله العلماء قلت : وهم قد أخذوا بظاهره تبعاً لبعض المحققين من علماءهم — أعني الحنابلة — وأزيد أن بعض الشافعية والمالكية حرم شد الرحال لزيارة قبور الصالحين كالامام الجويني والداماد الحرمين واختاره القاضي عياض في شرحه لصحيح مسلم كما نقله عنه النووي فأخذ الوهابية بذلك لهم سلف فيه وليسوا أول من قال به

شهادة التاريخ للوهابية

نكتفي هنا بشهادتين عادلتين لمؤرخين كبيرين نقلنا عن العدول المعاصرين لظهور الوهابية واستيلاء أمير نجد بقوتهم على الحجاز

﴿ الشهادة الاولى ﴾ قال المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الازهري في أول

حوادث سنة ١٢٢٧ من تاريخه نقلنا عن بعض أكابر رجال جيش محمد علي باشا الذين قاتلوا الوهابية في الحجاز ما نصه :

« ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الإصلاح والتورع : أين لنا بالنصر وأكثروا علينا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا وصحبتنا صنایق المسكرات ولا يسمع في عرضنا أذان ولا تقام فيه فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين . والقوم (يعني الوهابية) إذا دخل الوقت أذن المؤذنون وينظمون صفوفا خاف امام واحد بخشوع وخضوع ، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائم (؟) أذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة الحرب وتأخر الأخرى للصلاة وعسكرنا يتمجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته ، وينادون في معسكرهم : هلموا إلى حرب المشركين المخلقين الذقون ، والمستبشرين الزنا واللواط ، الشاربين الخمر ، التاركين للصلاة ، الآكلين الربا ، القائلين بالانفس ، المستحلين المحرمات . وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غير مختونين » اهـ (ص ١٤٠ ج ٤ من الطبعة الاميرية) وفيه من فظائع العسكر وفواحشه ما لا حاجة إلى ذكره .

ومن المعلوم أن جيش محمد علي كان أخلاطا من شعوب ومال شتى ولم يكن مؤلفا باعتبار أنه جيش اسلامي يقيم شعائر الاسلام ويحافظ على فرائضه ويراعي أحكامه في القتال وغيره بل لم يكن جيش الدولة العثمانية المنظم كذلك وهي التي كانت توصف بأنها دولة الخلافة . وأما ظن ناقل الخبر للجبرتي أنهم لا ينصرون وحالتهم ما ذكر فسببه أنه يعتمد أن النسق يمنع النصر وليس كذلك فإن من استوفى أسباب النصر من كثرة العسكر ونظامه وعدته ينصر على من ليس كذلك (الشهادة الثانية) — ما جاء في كتاب (الاستقصا ، لاخبار دول المغرب الاقصى)

للعامة الشيخ احمد الناصري السلاوي فإنه ذكر في الجزء الرابع منه خبر وصول كتاب صاحب الحجاز عبد الله بن سعود الوهابي إلى فاس وخلاصة وجيزة عن

أصل الوهابية لا تخلو من غلط ثم ذكر أن سلطان فاس أرسل جواب ذلك الكتاب مع ولده الذي سافر مع بعض العلماء إلى الحجاز وهذا نص **تخبرهم** (١٤٥ من الجزء الرابع المطبوع بمصر) قال:

(حجج المولى أبي اسحاق ابراهيم بن السلطان المولى سليمان رحمه الله) (وفي هذه السنة) أعني سنة ست وعشرين ومائتين وألف وجه السلطان المولى سليمان رحمه الله ولده الأستاذ المفضل المولى أبا اسحق ابراهيم بن سليمان إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مع الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من (فاس) على هيئة بديمة من الاحتفال وإبراز الاخوية لظاهر البلد وقرع الطبول وإظهار الزينة وكانت الملوك تعني بذلك وتختار له أصناف الناس من العلماء والأعيان والتجار والنقاضي وشيوخ الركب وغير ذلك مما يضاهي ركب مصر والشام وغيرها فوجه السلطان ولده المذكور في جماعة من علماء المغرب وأعيانه مثل الفقيه العلامة القاضي أبي الفضل العباس بن كيران والفقيه الشريف البركة المولى الامين ابن جعفر الحسني الرقبي والفقيه العلامة الشهير أبي عبد الله محمد العربي الساحلي وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه فوصلوا إلى الحجاز وقضوا المناسك وزاروا الروضة المشرفة على حين تعذر ذلك لعدم استيفائه على ما ينبغي لاشتداد شوكه الوهابيين يومئذ ومضايقتهم لحجاج الآفاق في أمور حجهم وزيارتهم إلا على مقتضى مذهبهم

(حكى صاحب الجيش) أن المولى ابراهيم ذهب إلى الحج استصحب معه جواب السلطان فكان سببا لتسهيل الامر عليهم وعلى كل من تعلق بهم من الحجاج شرقا وغربا حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الأمن والامان والبر والاحسان قال: حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى ابراهيم في تلك السنة أنهم ما رأوا من ذلك السلطان (يعني ابن سعود) ما يخلف ما عرفوه من ظواهر الشريعة وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه ما به الاستقامة وإتيان بشعائر الاسلام،

من صلاة وطهارة وصيام، ونهي عن المنكر الحرام، وتنقية الحرمین الشریفین من القاذورات والآثام، التي كانت تفعل بهما جهارا من غير نكير . وذكروا أن حاله كحال آحاد الناس لا يتميز عن غيره بزي ولا مركوب ولا لباس، وأنه لما اجتمع بالشريف المولى ابراهيم أظهر له التعظيم الواجب لأهل البيت الكريم . وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته

وكان الذي تولى الكلام معه هو الفقيه القاضي أبو اسحق ابراهيم الزداني فكان من جملة ما قاله ابن سمود لهم : إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية . فأی شيء رأيتمونا خالفنا من السنة ؟ وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا ؟ فقال له القاضي : بلغنا أنكم تقولون بالاستواء اللدائي المستلزم لجسمية المستوي فقال لهم : معاذ الله انما نقول كما قال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة . فهل في هذا من مخالفة ؟ قالوا : لا وبمثل هذا نقول نحن أيضا .

ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة اخوانه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم . فلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه . وقال : معاذ الله انما نقول انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وكذا غيره من الانبياء حياة فوق حياة الشهداء

ثم قال له القاضي : وبلغنا أنكم تمنعون من زیارته صلى الله عليه وسلم وزيارة سائر الاموات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن انكارها . فقال : معاذ الله أن ننكر ما ثبت في شرعنا وهل منعناكم أنتم لما عرفنا أنكم تعرفون كيفية آدابها ؟ وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية، ويطالبون من الاموات أن تقضي لهم أغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية . وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكر مصير لزامها ما صار اليه لمزور ثم بدعوله بالغفرة ويستشفع به الى الله تعالى يسأل الله المنفرد بالاعطاء والمنع بجهاد ذلك الميت ان كان ممن يليق أن يستشفع به

هذا قول امامنا احمد بن حنبل رضي الله عنه ولما كان العوام في غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعة فأبي مخالفة في هذا القدر . اه . ثم قال صاحب الجيش هذا ما حدث به أولئك المذكورون سمعنا ذلك من بعضهم جماعة ثم سألنا الباقي أفرادا فاتفق خبرهم على ذلك اه

وذكر المؤلف (صاحب الاستقصا) بعد هذا الخبر بحثا في زيارة القبور رجح فيه القول بمنع زيارة الاولياء سدا للذريعة مع بيان العلة وشهارها بين الناس وذكر أن سلطان المغرب المولى سليمان رحمه الله كان يرى هذا وألف فيه رسالته المشهورة وإن الشيخ الفقيه الصوفي أبا العباس التيجاني كان يرى هذا ونهى أصحابه عن زيارة الاولياء اه ملخصا

والشيخ احمد التيجاني المذكور قد انتشرت طريقته في جميع بلاد المغرب الاقصى والادنى وما بينهما حتى أن أتباعه يعدون بالملايين إلى هذا العهد (١) وما نقله من كلام الامير الوهابي في مسألة الاستشفاع معزوا إلى الامام احمد يظهر أنه لم ينقل بحرفه فإن الامام احمد رضي الله عنه لا يعرف عنه ولا عن علماء الوهابية مثل هذا القول فيما نعلم والله أعلم

وسنبين في مقال آخر أن المتغلب على الحجاز اليوم هو الذي يكفر المسلمين الذين يعاديهم ويعادونه فقد كفر الترك والمصريين كما كفر الوهابية ونبين أن فعما به النجديون من الزحف لانتفاذ الحجاز من بغية هو من فروض الكفاية على الامة الاسلامية قد قاموا به فاذا ظفروا ارتفع الاثم عن جميع المسلمين والا وجب ذلك على غيرهم

(١) ولكن الناس لم ينكروا على هؤلاء كالوهابية لسببين أحدهما أنه ليس لهم خصوم سياسيون يغرون الناس بهم كما يفعل أمراء مكة بالوهابية . والثاني أن الوهابية منعو المنكرات بالفعل لا بمجرد القول، وهذا مالا يطيق احتمال أهل البدع لأنه يفضي بهم

المقالة الثانية (*)

في بيان الاسباب العامة لزحف الوهابيين على الحجاز

تمهيد : طريقتنا في الكتابة

إننا نكتب ما نكتب في هذا الموضوع لبيان الحق وأداء النصح الواجب للامة الاسلامية وللشعب العربي، وقد عاهدنا الله تعالى على أن لا نؤثر على الحق والنصح شيئاً، وأنه اذا ظهر لنا أننا أخطأنا في شيء، فأننا نرجع عنه ونعلن ذلك اعلاناً فما كان في كلامنا من خبر فأننا مستعدون لاثباته بالنقل عن المصادر التي لا نزاع فيها وأكثرها رسمية حقيقة أو حكماً (وهذا ما يسميه كتاب هذا العصر شديها بالرسمي) كما نقول جريدة القبلة التي لا تعزوها الى الملك حسين ولا الى حكومته (التي هي هو)

وما كان من حكم شرعي فأننا نذكره بالدليل ونعرضه على علماء الاسلام في العالم كله فإن كتب الينا أو كلمنا أحد منهم بما يقنعنا بأننا أخطأنا في شيء، منه فأننا نرجع الى الحق ونعلن ذلك لمن اطلع على كلامنا حيث اطع عليه، والا يبدأ له خطأه بالدليل مع التزام الادب الذي نطالبه به ونعرض كلامنا وكلامه على الجمهور وما كان من رأي فأننا لا نأبى مناقشة أهل الرأي فيه على شرطنا فيما قبله ومنه ان يرسل الرد الينا أو الى الصحيفة التي ننشر فيها كلامنا، واسنا نكلف أن نطلع على جميع الجرائد وما عساه يوجد في بعضها من نقد أو طعن فنرد عليه، ولا أن نرد على من يخرج عن شروط المناظرة وآدابها، وإنما نرد على من ينكر بالدليل صدق خبر من أخبارنا أو صحة دليل من أدلتنا أو بطلان رأي من آرائنا، لأننا نتحرى الحق والصواب في هذه الثلاثة ونودور معه ان شاء الله تعالى حيث دار اننا أفتينا ببطلان بيعة حسين بن علي بالخلافة وسردنا الدلائل الشرعية على ذلك، ونشرت الفتوى في مجلتنا (المنار) وفي جريدتي الاهرام والمحروسة، (*) نشرت في عدد الاهرام الذي صدر في ٥ ربيع الاول ١٤ أكتوبر (ت ١)

وبينا في هذه الفتوى وفي مقالات أخرى في المنار أن هذه البيعة على بطلانها تضر الأمة العربية وتزيد الشقاق بين شعوبها وحكوماتها، فصدقت الحوادث رأينا ولم يرد عليه أحد فيما نعلم، واننا بينا حقيقة حال خصومه النجديين في مذهبهم بالنقل من كتبهم ومن كتب التاريخ المشهورة ولم نذكر من عندنا كلمة واحدة وان يستطيع أحد أن ينكر كلمة من نقلنا وقد بينا مواضعه حتى ذكرنا أعداد الصفحات والاجزاء التي نقلنا عنها، لذلك وقع أحسن موقع من أنفس الناس الذين قرؤوا مقالنا الأخير الذي نشرناه في جريدة الاهرام واستزادونا من الكتابة في هذا الموضوع، وكثر طلاب التحفة السنية والهدية الوهابية من القاهرة ومن جميع أرجاء القطر المصري ومما جاوره حتى صار عمل مكتبة المنار منذ نشرت المقالة توزيع هذه الرسالة فكان هذا سببا لمعرفة الآلاف الكثيرة من الناس ما كانوا يجهلون من حقيقة أهل هذا القطر الاسلامي الذين هم أشد مسلمي هذا العصر حرصا على السنة السنية وعناية بالاعتصام بعروتها الوثقى وكان أمرهم مجهولا عند الاكثرين بل كانوا يوصفون بضد ما هم عليه بما يذيعه حسين بن علي وأعدائه من الطعن في دينهم تبعا لما أذاعه سلفه في إمارة الحجاز، ومقلدوهم من مدة قرن وربع قرن حين فتحوا الحجاز للمرة الاولى، حتى كتب أخيرا بعض من لا قيمة للحق والصدق عندهم مقالات في بعض الجرائد كلها زور وبهتان هبط الافتراء ببعضهم فيها الى رعيهم بأنهم يسعون لابطال دين الاسلام تمهيدا لنشر دعوة المبشر بن (دعاة النصرانية) فكانت هذه فرية عجز عن مثلها واننا في هذا المقال وما بعده نبين للناس كافة، ولاهل الغيرة الاسلامية والجامعة العربية خاصة، أسباب زحف النجديين لانقاذ الحجاز من هذا المتغلب عليه، المستبد فيه، الظالم لاهله ولما يحجونه من سائر المسلمين، وسيعلمون مما نورده من الحقائق الجليلة، والشواهد الرسمية وشبه الرسمية، أن سلطان نجد لم يفعل هذا طمعا في توسيع ملكه، ولا لمجرد المحافظة على حقه، بل خدمة الملة الاسلامية

والامة العربية ، وان كان الامر الثاني وحده يوجب عليه ذلك شرعا وعرفا ، ونبدأ
بذكر الاسباب العامة فنذكرها بالايجاز لانها صارت مشهورة الا أنه يقل من
يحفظها كلها ويستحضر ذكرها ، ثم من يخلص في بيان ذلك للناس ، ولهذا
نرى ما يتعجب منه من الخبط والخلط والباطل في مقالات بعض الكتاب حتى
من تصدى لتحصيص امثال هذه المسائل خاصة

الاسباب العامة لزحف النجديين على الحجاز

(السبب الاول) ما هو معلوم بالتواتر القطعي وبالوثائق الرسمية من
موالاته الشريف مكة حسين بن علي وأولاده للدولة البريطانية وحلفائهم في الحرب
الاخيرة ونصرهم إياهم على الدولة العثمانية في فتح البلاد العربية وأنه كان يهيئ
الدولة البريطانية كما فتحت مدينة من أمصار الاسلام وعواصم الحضارة العربية
كالقدس الشريف وبغداد ودمشق ، ثم اقتسموا هذه البلاد فأعطوه ولاية
الحجاز وأخذوا هم ولايات العراق وسورية والقدس الشريف حتى إنهم اقتسموا
سكة الحديد الحجازية أيضا التي هي وقف اسلامي أنشئ لتسهيل إقامة ركن اسلامي .
فأما تولى المسلم لغير المسلمين في القتال وفتح بلاد المسلمين فحكمه الديني معلوم
بنص القرآن المجيد وكتب الشريعة وحسبنا منه قوله تعالى (ومن يتوهم منكم
فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) وأما عاقبته في الامة العربية فهي
استيلاء الاجانب على مهد حضارتها وعماراتها وأخصب اقطارها وأعظم موارد
ثروتها ، وجعل ما بقي لها من جزيرتها المقدسة محاطا به من البر كالبحر ومهدد
بنقدان استقلاله في كل وقت ، والتهديد شامل للحرمين الشريفين بالتبع لثالثهما
وهو المسجد الاقصى حتى لا يبقى لها استقلال في دين ولا دولة
(فان قيل) ان هذا الرجل وأولاده يدعون أنهم ما فعلوا هذا الا لانقاذ

البلاد العربية واستقلال العرب (قلنا) اننا نحن نبين الحق الواقع لا إفك الدياسة ومغالطاتها وكذبها ومكابرتها ، والا فان الانكليز قالوا ولا يزالون يقولون مثل هذا القول في احتلالهم لمصر ، وفي إكراه وزير من وزرائها على تسميته إياهم شركاء لمصر في بلاد السودان ، وفي زعمهم الآن أن السودان يجب أن يكون في أيديهم وحدهم لأن لهم مصالح فيه ولا تمام سعادة السودانيين . . .

(فان قيل) إن ثورة الشريف التي بسميها النهضة إنما بنيت على القصد الصحيح المذكور ثم ظهر له أن حلفاءه خدعوه وأخلفوا وعده ، ونكثوا عهده ، ولا عجب فقد خدعوا رئيس أعظم دولة في العالم كخدعوه وهو رئيس دولة الولايات المتحدة في أميركا (قلنا) إن هذا باطل كالكذبي قبله كما يعلم من أسباب الآتية وربما كان من أسباب أرجاء ابن سعود الزحف على الحجاز إلى الآن ، لأجل استعراف نتيجة هذه الأقوال

(السبب الثاني) أن الشريف حسبنا وأولاده لا يزالون مصريين على موالاته حلفائهم الأجانب ومودتهم ومساعدتهم على تثبيت أقدامهم في البلاد العربية مع ادعائه هو دون أولاده بأنهم خدعوه وغشوه - لأنه أشدهم ريا وخداعا وافكا ولذلك يناقض نفسه ويبطال بعض كلامه بعضا ، وما نحن أولاء قد قرأنا في عدد جريدة (القبلة) ٨١٠ الذي صدر في ١٠ المحرم فأنمة هذا العام (١٣٤٣) تصريحاً رسمياً له بالثبات على مودتهم في منشور باسمه سماه (منشور عيد البيعة الأولى) وما أكثر أعياده بمصائب العرب والإسلام ! ! فقد قال فيه ما نصه : « وانا لا نزال ساءين لتأييد المودة وتأكيد الروابط بيننا وبين حلفائنا العظام » فما هذا التأيد والتأكيد ان كان صادقا في قوله إنه مخدوع منكوث العهد ، مكذوب الوعد ، ولماذا يصر على السعي لمقصد المعاهدات معهم والنبي الذي يدعي هو وحكومته اتباعه له دون المسلمين كافة والوهابيين خاصة بقول « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » رواه البخاري ومسلم وغيرها - دع ما ورد في أمثال هذه

المواد والمعاملات في سورتى الممتحنة والتوبة مما ينافي الاسلام نفسه
(السبب الثالث) ان ما يسميه النهضة قد بني على أساس الحماية البريطانية
للمملكة العربية التي طالب من الانكليز أن يؤسسوها له كما فضحها ولده الشريف
فيصل في دمشق الشام بنشره نص مقرراتها الرسمي في جريدة المفيد ثم نقلتها
الصحف الكثيرة في المشرق والغرب، وهذا نص المادة الثانية منها بحروفه كما
كتبها حسين بن علي بيده الاثيمة الخاطئة :

(٢) تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي
مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية
من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو
من حسد بعض الامراء الخ

ولكن الانكليز لما لم يسمحوا له بغير الحجاز من البلاد العربية التي طلب أن
يكون ملكها تحت حمايتهم لم يكن من مصلحتهم أن يقبلوا رسميا جعل الحجاز
تحت حمايتهم . وهو لا يزال مصرا على هذه المقررات ويمسك من أعظم النعم
عليه أن يكون موظفا بريطانيا في الحجاز كبعض النواب والرجوات في بعض
الولايات الهندية التي تسمى مستقلة في بطن الحضر الواسع (١)

ومن الأدلة على ذلك أنه طالب مرارا من الدولة البريطانية إفالته من ملك الحجاز
وتنصيب غيره بدلا منه . وأرسل مرة الى مدير جريدة التيمس برقية اليه رغب
اليه فيها أن يتوسل لدى حكومته لقبول استقالته . وهذا نص البرقية منقولا عن
العدد ٥٥٣ من (جريدة القبلة) :

« المدير العمومي لصحيفة التيمس

« اطلعت على عددكم المشترك الرذ والقذح باتحاد العرب والتزامكم أحد
امرائهم ولا زيادة اقناع حكومة جلالة الملك وايضاح الحقيقة لعموم الشعب النجيب
«١» الحضر - بكسر فسكون ففتح - العظيم البطن الواسعة، وسميت به الضبع

البريطاني اكره هذا طلي بواسطتكم من حكومة جلالة تأكيد تعيين الامير المذكور أو من تراء ليهتم البلاد الخ . والمراد بالامير المشار اليه سلطان نجد اذ كانت جريدة التيمس مدحته بمقال لها

وكان قد أرسل الى نائب ملك الانجليز بمصر كتاباً في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٢٣٦ نشره في جريدته (القبلة) مرارا لاعتقاده انه من معجزات السياسة او الكياسة والبلاغة استغاث فيه الدولة البريطانية أن لا تعدل مقررات نهضته المبنية على الحماية ولا تعرض الانفاق معه على مؤتمر الصلح قال فيه ما نصه السقيم « فان كان رلا بد من التعديل فلا لي سوى الاعتزال والانسحاب ولا أشبهه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا أنه أمر يتعاق بالحياة لا لقصد عرضي ولا لفكر غرضي وأنها لا تراب في أي وأولادي أصدقائها الذين لا تغيرهم الطواريء والايام ، ثم تعينوا البلاد التي تستحسن اقامتنا فيها بالسفر اليها في أول فرصة » ثم اجاب عن تعليق أمر مطالبه بالمؤتمر وختم كلامه بقوله :

« ولو قرر المؤتمر المذكور أضعاف مقرراتنا وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فنكن (؟) مطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا » اه بحروفه من العدد ٣٩١ من جريدته (القبلة) الذي صدر في ٢٣ رمضان سنة ١٣٣٨ ومنه يعلم أن الدولة البريطانية عنده كالمعبود فلا يعاملها معاملة مبنية على المصلحة فقط

(السبب الرابع) رضاه باستخدام الدولة البريطانية لاولاده في العراق وشرق الاردن لتخدير أعصاب بدر البلاد وحضرها وحامهم على الرضاء بما يؤسس فيها من حظائر الطائرات الحربية وتعبيد الطرق في قلب الجزيرة للسيارات والدبابات ومد سلك الحديد العسكرية والتجارة لتمكين سلطانها فيها ، فان العرب اذ قاوموها قبل ذلك فالراجح أنها تضطر الى ترك بلادهم لهم لئلا تضطرها لمقاومة العملية الى بذل ألوف الملايين من المال ومئات الألوف من الرجال ،

وذلك ما لا يأذن لها به برئانها ولا تسكت عليه أمتها في هذا الوقت التي أرهقتها فيه الضرائب . وإذا هي تم لها بنفوذ هؤلاء الحجازيين ما شرعت فيه من ذلك فرسخت أقدامها واستقرت قوتها فلان تخرج من البلاد وإن ترضى إلا الاستيلاء على سائر جزيرة العرب للمحافظة على ما تسميه مصالحها وطرق تجارتها وعلى ما تدعيه من اسعاد البلاد وأهلها كما تقول في مسألة السودان وهي عبدة للمخدوعين هؤلاء الحجازيين إن كانوا غير خائنين لأمتهم وبلادهم أو جاهلين لمصلحتها لكثير من البدو

(السبب الخامس) جعل حرم الله تعالى الأمين مركز ملك حربي يحالف ملكه بعض الملوك الأجانب غير المسلمين ويجعل لهم حقوقا في الحرم من الشريفتين غير مسألة الحماية التي تقدم ذكرها ويعاذي آخرين ، ولا يجوز أن يجعل الحجاز مركزا حربيا أي عرضة للحرب لأن ذلك قد يؤدي إلى منع الحج الذي هو ركن الإسلام الاجتماعي العام الجامع للشعوب الإسلامية كلها . وإنما مصلحة المسلمين عامة وأهل الحجاز وجيرانهم خاصة جعل الحجاز قطر حيا وسلام والسعي لاعتراف جميع الدول بذلك . ولو فعل السيد حسين المكي ذلك لاستغنى به عن معاداة جيرانه من العرب والاستعداد لقتالهم ، ولاستغنى عما هو شر من ذلك وهو اهانة نفسه وبيته وأمة وبلته وحرم الله وحرم رسوله بالالتجاء إلى حماية دولة غير مسلمة له ولها

(السبب السادس) أنه سمى نفسه ملك العرب وملك البلاد العربية وحمله غروره بنفسه على السعي لإقناع أمراء جزيرة العرب المستقلين بالاعتراف له بذلك فسخروا من سعيه أسوأ سياسته وبناء ملكه على الحماية الأجنبية وضعفه وفساد ادارته واعتقاد كل منهم واعتقاد رعيته وسائر العارفين بحالهم أنهم أحق بالملك منه . ولكنه لم يرجع عن دعواه بل أصر على ذلك وحاول التوصل إليه بقوة الأجانب الذين جعلوا أحد أولاده ملكا والآخر أميراً مرشحا للملك في

دائرة امبراطوريتهم المرنه ، فهو قد اتخذ جميع امراء الجزيرة المحيطين بالحجاز أعداء له . وحسبنا شاهدين على هذا : ما صرح به لرئيس مؤتمر الجزيرة الذي أسسه لبث دعايته وتمهيد السبيل له — وما جرى في مؤتمرات الكويت من الامتناع من الاتفاق الودي مع حكومة نجد واننا ننقل بعض كلامه في الشهد الاول ونرجي الثاني الى بيان الاسباب الخاصة لزحف النجديين على الحجاز :

نشرت جريدة القبلة في العدد ٧٣٧ الذي صدر بمكة في ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٤٢ بياناً عاماً من (اللجنة التنفيذية لمؤتمر الجزيرة) بامضاء رئيسها (محمد ابن علوي) ذكر فيه ما صرح له به الملك حسين من تفسير الوحدة العربية التي يطلبها ، وهو انه رسمها على الاساس الآتي :

« وهو وحدة البلاد العربية واستقلالها بحيث تكون خارجيتها وعسكريتها وسياستها العامة واحدة . أما داخليتها فالامارات العربية المعروفة بجزيرة العرب تكون على ما كانت عليه قبل الحرب ، وان كل أمير في أي اماره من هذه الامارات الموروثة لهم من آباءهم واجدادهم يستقل بداخليته ضمن الحدود التي كانت عليها امارته قبل الحرب بشرط أن يرتبط مع المجموع الذي كل من خرج عنه منهم أو شذ بالخروج عن الجامعة العربية بحكم عليه المجموع بمقتضى قوله تعالى (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله)

« وأما ما كان خارجاً عن حدود تلك الامارات سواء كانت تلك الامارات قائمة بذاتها ضمن حدودها أو طراً عليها الاغتنصاب كعسير قبل الحرب وابن رشيد بعد الهدنة فلا بد من عودتهم الى ما كانوا عليه كمودة الامام يحيى الى صنعاء» ثم قال « ولذلك فهذه هي الخطة التي عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث ان شاء الله من الآمنين — لذا فلا بد من اعادة آل رشيد وآل عايض الى اماراتهم وحدودهم وقبائلهم التي كانوا عليها ، واعادة كل أمير من امراء الجزيرة الى ما كان عليه قبل الحرب » — الى أن قال — « هذا الذي أدين الله عليه

ولو لم تبق الا ذاتي وحياتي لانفقتها في هذا السبيل »

فهذا نص صريح من الملك حسين الذي سمى نفسه (ملك العرب وجميع البلاد العربية) بمعادة جميع امراء جزيرة العرب وجعلهم معه في حالة حرب لانه يدين الله تعالى بسلب كل واحد منهم بعض البلاد التي في يده وبجعلهم تابعين في السياسة الخارجية والحربية والادارة العامة لملك العرب أي له .

أذاع عنه هذا في جريدة (القبلة) رئيس مؤتمر الجزيرة المستخدم عنده لهذا وهو الذي يرسل البرقيات الى العالم الآن في الافتراء على النجديين لينزع العالم منهم (السبب السابع) إلحاده بظلم أهل الحرم وارهاقهم العسر من أمرهم بضرب المكوس الباهظة على كل ما يرد الى البلاد من الاقوات وغيرها واحتكاره القوات الضرورية وهو الخبز باطلاله جميع الافران العامة الخاصة وانشائه أفرانا يكره الناس على الشراء منها بالنظر الذي لا يمكن أن يزاحمه فيه أحد ، مع عدم المبالاة بقول النبي (ص) « احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه » رواه البخاري في تاريخه وأبو داود في سننه واكثر رواة التفسير المأثور من حديث يعلي بن أمية (رض) وفي معناه روايات أخرى عن عمر وابن عمر (رض) مرفوعة وموقوفة وبغير ذلك من اغتصاب أوقاف الاشراف والاوقاف الاهلية في المدينة المنورة وبالحبس والتنكيل والتعذيب وقطع الاطراف والقنل بغير حق يميزه الشرع ، ولا نطيل هنا في هذا وقد بيناه بالتفصيل في مجلة المنار ولدينا مزيد وهو معروف عند أهل نجد (السبب الثامن) تحكيمه بهواه في أمر فريضة الحج فهو يمنع منها من اتخذهم أعداء له كأهل نجد ويضرب على سائر الحجاج المكوس غير المشروعة باسم جوازات السفر ورسوم الصحة وغير ذلك مما أذاعه حجاج الافاق في جميع الاقطار ، وشرحناه بالتفصيل في مجلة المنار

(السبب التاسع) نشره في جريدة القبلة أنه لا يوجد في العالم حكومة اسلامية تقيم الحدود وتلتزم أحكام الشرع غير حكومته ، وتكفيره للترك والمصريين

والنجديين ، وسندكر بعض الشواهد على هذا في المقال التالي
(العاشر) ادعائه مع كل ذلك الخلافة الاسلامية الذي يقتضي أن كل
من يخالفه ولا يخضع لحكومته من الشعوب والحكومات الاسلامية من الخوارج
البغاة الذين يجب عليه وعلى سائر المسلمين قتالهم ، وقد ذكرنا آنفا رأيه في
امارات جزيرة العرب المجاورة للحجاز ونصر بحقه قبل اظهار دعوى الخلافة والدعوة
العامة الى مبايعته بها بأنه يدين الله تعالى بجمعها تابعة تلك واحد وبمزمه الثابت
على تنفيذ ذلك بالقوة ، فكيف يكون شأنه بعد هذه الدعوى ومقتضاها عنده
أنه يجب على أهل هذه البلاد كسائر المسلمين أن يكونوا تابعين له خاضعين لحكمه
فهذه الاسباب العامة توجب على من قدر من أمراء المسلمين أن ينقذوا
الحجاز من سلطة هذا المدعي الممرور كما فصلناه من قبل في المنار وسنجدل القول
فيه في المقال التالي الذي نبين فيه الاسباب الخاصة التي حمت أهل نجد على
القيام بهذا الفرض الكفائي وسبب تأنيبهم في ذلك وهو الاحترام للمحرم الشريف

المقالة الثالثة

الاسباب الخاصة بنجد لزحف أهلها على الحجاز

بيننا في المقالة الثانية جل الاسباب العامة لانقاذ الحجاز من السيد حسين
المكي المستند فيه التي يمدّها السلطان عبد العزيز بن سعود موحية شرعا للقيام
بهذا العمل لمن قدر عليه مثله ، واذا كنا نكتب أمثال هذه المقالات في فترات
قصيرة نختلسها من شواغلنا الكثيرة اختلاسا نسبينا أن نذكر في تلك الاسباب
عجز المتغلب على الحجاز عن حفظ الامن بين الحرمين الشريفين ونكثه للمعهود
التي عاهد أعرابها عليها حين دعاهم الى الثورة والخروج على الدولة العثمانية وهو أن
يعطيهم في كل سنة ضعف ما كان مرتباً لهم من الاموال التي كانت ترسلها الدولة
الى الحجاز لاعانة أهله فكان يعطيهم في سني الثورة ثم منعهم بعدها كما منع

أكثر المستعقنين للاعازات التي ترسل من مصر — فاضطروا الى منع الناس من زيارة حرم الرسل صلى الله عليه وسلم الا من يؤدي لهم ما فرضوه بدلا مما كانوا يأخذونه كما فصلناه في المنار

ونبين الآن ما نذكره من الاسباب الخاصة بالنجديين وهي ترجع الى غرض واحد هو ازالة استقلال سلطنة نجد وحملها تابعة لما يسميه الممالك العربية الهاشمية ، والاسباب التي نذكرها حجج ناهضة تدل على ذلك وهي :

سرد هذه الاسباب الخاصة

(١) انما عقب انكسار الدولة العثمانية في الحرب البلقانية وضعنا مع بعض أهل الغيرة العربية والاسلامية خطة لوقاية بلاد العرب من استيلاء الاجانب عليها ومنها جمع كلمة أمراء العرب ووضع اتحاد حلفي بينهم لازالة العدوان والتعاون على حفظ البلاد العربية وصيانتها من تعدي الاجانب ، والفصل في المنازعات الداخلية بين أولئك الامراء ومن دونهم من القبائل بالتحكيم . . .

وقد تولى كاتب هذه المقالات تبليغ أمراء اليمن ونجد وعسير ذلك فجاء منهم مكاتبات بلاستحسان وطلب التفصيل وطرق التنفيذ . . . وعهد الى الشريف عبد الله أن يبلغ ذلك والده حسينا اذا كان يرجح قبوله له . ولما وقعت الحرب الكبرى ودخلت الدولة العثمانية في حلفي دول أوربا الكبرى وشرعت الدولة البريطانية تخادع جميع أمراء العرب وزعمائهم لتستخدمهم وتستعين بهم على الدولة ثم على أنفسهم لتكافئهم على ذلك بسلب استقلالهم — اشتدت الحاجة الى تحالفهم واتفاقهم على صيانة البلاد العربية والاحتياط لحفظ استقلالها اذا قهرت الدولة العثمانية وانكسرت مع أحلافها ، ولما انخدع أمير مكة هذا الرقية البريطانية بسوء سريره وجهله بشؤون السياسة صارت الحاجة الى ذلك أشد ، وقد أخبرني ولده السيد عبد الله أنه ذكر له اقتراحني ولكن وقعت الحرب عقب ذلك فشغلهم الثورة عن اعادة القول فيه ، أخبرني بهذا في مكة المكرمة بعد اتمامنا مناسك

الحج ورغب الي أن أكل والده فيه فبكلمته وذكرت له شيئاً من خداع السياسة وكون الاستفادة منها منوطة بالقوة . . . وناصرت له بالمسألة اعتذر عنها بأنه اذا خاطب جيرانه بذلك يظنون أنه عاجز عن مقاومة الترك ويريد مساعدتهم وان الرأي أن يرجى ذلك الى أن يستولي على المدينة ويخرج الترك من الحجاز كله ، فقلت له : لا نكنكم فحطبة أحد منهم بل نحن نتولى ذلك ونرجو النجاح فيه وانما نرجو أن نكون على بينة من رأيه فيه وثقة من رضاه وقبوله للاشتراك فيه اذا أقنعنا سائر الأمور . . . فلم يقبل حتى أنني قلت له : إنني أضمن لكم قبول صاحب نجد واذا احتجج الى ذهائي اليه بنفسي فإني أفعل ، فلم يقبل ، ثم قال أمام بعض بطانته أو حاشيته : من هؤلاء الكلاب حتى أتفق معهم ؟ اليوم يوجد في الدنيا رجل يقل له ابن سعود وغداً لا يوجد في الدنيا ابن سعود . . .

(٢) ان أول عمل عمله بعد الاستيلاء على المدينة المنورة عقب خروج الترك منها بعد هدنة الحرب - وقد عجز عن أخذها منهم بالقوة - أنه جمع كل ما كان يقاتل به الترك هنالك من الجند النظامي والبدوي مجهزاً بأحدث الأسلحة ولا سيما المدافع والرشاشات وقنابل اليد ووجههم بقيادة ولده السيد عبد الله الى الشرق لاسترداد الخرمة وتربة فلزحف على نجد ، وكانت تلك أعظم قوة حربية اجتمعت لهم في الحجاز بدير حر كته زهاء مائة ضابط عربي جلهم من ضباط العراق البارعين ، ولما وصلوا الى الخرمة باغتوا أهلها وهم في صلاة الفجر ففتكوا بهم وهم يصلون شرفكة . . . فاستنجد الشريف خالد عامل الخرمة الاخوان (الوهابيين) فزحفوا على ذلك الجيش المنظم ، فكانوا قضاء الله المرم ، اصطلموا الجيش وغنموا سلاحه وكراعته وذخيرته وقتلوا أكثر من ثمانين ضابطاً هم خيار ضباطه ، وفر الشريف عبد الله منهزماً يزي الاخوان مقلداً لهم في كلامه

(٣) ان السيد حسين لم يقترح على الانكباب في « مقررات النهضة » أن يؤسسوا المملكة العربية ويتولوا حمايتها وصيانتها « من الداخل والمخرج »

الا لما في قلبه من العداوة لابن سعود والخوف منه ، وهو هو الذي يعنيه بقوله في مادة الحماية الذي ذكرناه في المقالة الثانية «أو حسد بعض الامراء» فابن سعود أولى الناس بشر هذا العرش المدني على جعل الحرمين تحت حماية غير المسلمين خوفاً منه ، وهما نحن أولاء نقرأ في جميع الصحف ما جاء في البرقيات من (لندن) من استغاثة الشيخ حسين هذا بالدولة البريطانية ومطالبتها بانقاذ الحجاز من الوهابية ، فالانكليز يتصلون من الاعتراف أمام العالم الاسلامي بحمايتهم للحجاز بما يعلمون من كراهة المسلمين لذلك وعده اعتداء عليهم في دينهم وهو لا يستحي من الجهر بمطالبتهم بذلك ومكافاتهم عليه بتوقيع «المعاهدة البريطانية العربية» على إعلانها ، وان كره أصدقاؤه من أهل فلسطين تضمينها لاعترافه بالانتداب البريطاني ووطن اليهود القومي في بلادهم ، وكره جميع المسلمين ما جعل للانكليز فيها من المآقوق في الحجاز وفي معاملة الحجاج ، ومتى كان يبالي بالمسلمين أو غير المسلمين اذا رضي عنه الانكليز ؟ ولكن من مصلحتهم الآن أن لا يرضوا عنه ولا ينصروه وهم أعرق الناس في بناء سياستهم على المصالح لا كما يصفهم بأنهم يعملون بمقتضى «الحسيات» بالمعنى الذي يفهمه هو

(٤) ان هذا الرجل قد شرع منذ سعى (نفسه) ملك العرب وصاحب الممالك العربية وبايعه مستضعفو مكة وجدة في الجهر بالملك وفي السر بالخلافة الاسلامية (كما قالوا أخيراً عند تجديد البيعة) — شرع يطعن في دين الوهابية وعقائدهم ويرميهم بالكفر وتكفير المسلمين تمهيداً لقتالهم وأخذ بلادهم ولم يكتف في ذلك بما نشره في جريدته (القبلة) بإسائها بل صرح بذلك مراراً في مقالاته ومنشوراته الرسمية كالمشور الرسمي الذي نشره في العدد ٢٠٢ المؤرخ في ٢٤ شوال سنة ١٣٣٦ والمشور الرسمي الذي أصدره في غرة ربيع الاول سنة ١٣٣٧ والمشور الرسمي الذي نشره في عدد ٨ جمادى الاولى سنة ١٣٣٧

وقد صرح في المنشور الثاني بعزمه على محو بدعة الوهابية «خدمة للدين

وتنزيها له مما في هذا الزيف والضلال وسلامة البلاد من سيئاته» وذكر في الثالث أنه معهم في موقف دفاع ثم قال « فنحن نحرر منشورنا هذا علاوة على ما سبق ليعلم القاصي والداني أنه متى تحقق لدينا عدم نجاح خطة الدفاع أمام مبادئهم فلا بد لسلطان من قتالهم بكل موجوديته »

وهذان النصان الرسميان انذار بأنه يرى وجوب قتالهم لاجل دينهم وكرامهم على ترك عقائدهم وما يدينون لله به وانه هو سلطان المسلمين ويفعل هذا اصاله وبانية عنهم ، فاذا كان صرح بهذا والدولة العربية التي اقترح على العظمة البريطانية تأسيسها له وهم من الاوهام ، والخلافة التي رضىها له ملك الانكليز حلم من الاحلام ، فماذا عسى أن يفعل هؤلاء النجديين اذا استقر ملك اولاده في العراق والشام ، ورضي الانكليز بأن يؤلف بهم الوحدة العربية ، وقد سبق فادعى لنفسه الخلافة الاسلامية؟ اللهم الطف بعبادك وارحمهم برحمتك ، وانقذ من هذا الطاغوت أهل حرمك ، ولا تسلطه على أحد من خلقك » كتبت هذه المقالة قبل وصول خبر خلعها ولكن تأخر نشرها » (٥)

قلنا في مقال سابق أن رمية الوهابيين بالمروق من الدين ، واستحلال دماء المسلمين ، قد اتبع فيه سلفه الطالح عند ظهور أمرهم في فجر القرن الثالث عشر للهجرة ، ونذكر هنا ما فاتنا هناك من شهادته التاريخ على ذلك ، لانحد العلة والمعلوم في فساد الاول والآخر ، ولانها من الشواهد على ما قيل من « أن التاريخ بعيد نفسه » :

قال المرحوم محمود فهمي باشا المهندس المصري في الجزء الاول من تاريخه (البحر الزاخر) في سياق الكلام على الوهابية :

(*) المنار : نشرت هذه المقالة في الاهرام في ٨ ربيع الأول وكانت أخبار الحجاز قد جاءتنا بانه استقال أو خلع حبيب تالف من كبراء أهل جدة ومن هاجر اليها من مكة ونصب ولي عهده عليا ملكا دستوريا للحجاز وحده ، ثم تبين ان ذلك كان خداعا كما سنبينه بعد

«ومن بعد مدة استمرت في مخاربات شديدة، ووقائع عتيدة، دخل جميع بلاد العرب في العقائد الوهابية، أي العقائد الإصلاحية لاديانة الإسلامية، وصارت نجد أيضا في حالة سياسية مدنية جديدة، وبدل ان كانت جهاتها منقسمة الى عدة عشائر وشعوب صغيرة منفصلة عن بعضها (١) ومستمرّة في حروب وكروب بين بعضها (٢) صارت مقردة قوية، وسلطنة سياسية، مثال سلطنة الخلفاء القدماء ولرئيس هذه الدولة السلطة في الاعمال المدنية والدينية

و «مع ما كان عليه الوهابيون من الحروب والمبارزات في بلاد العرب لم يعتدوا على حقوق الحكومتين المجاورتين لهما حكومة بغداد والحجاز، وكانت قوافل الحجاج تمر من وسط أراضيهم من غير أن يحصل لأي قافلة ضرر أو انزعاج، وكانوا في أحوال أخوية ودية مع الشريف سرور شريف مكة. وفي سنة ١٧٨١ بعد الميلاد استحصلوا على رخصة منه في أداء حجاجهم وطوافهم بالكعبة، فتولد من زيادة قوتهم نفوذ شوكتهم اشتعال نار الحسد في قلب الشريف غالب، وفي ظرف بضع سنين من تقلده الحكومة وتوكله الشريف مكة (٣) بعد الشريف سرور أعلن حربا على الوهابية وكانت طرائق هذا الحرب مثل طرائق حرب البدو متقطعا بهدانات قصيرة المدة ولما انتظمت مخاربات الشريف غالب مع الدولة التركية العثمانية لم يهمل أدنى طريقة يمكنه اجراؤها في تمكين الدولة العثمانية من دخول عساكرها في بلاد العرب لاجل الوقوع بالوهابيين (٤) الا وأجراها وأثبت (٥) أنهم من الملحدين الكافرين وأن معاملتهم مع قوافل الحجاج التركية من أفجح الاعمال الفاسدة المضرّة بالدين اه. المراد منه هنا بحروقه على ما فيه من غلط لغوي (راجع ص ١٧٣ و ١٧٤ منه) ثم قد أعقب هذا الافتراء والافساد أن أمرت الدولة العثمانية حكومة بغداد بقتال الوهابيين ففعلت فلما اشتغل الوهابيون بقتال الدولة ودخلوا العراق زحف

١ «الصواب: منفصل بعضها عن بعض» (٢) «الصواب فيما بينهما» أي توليته إمارة الحجاز
٤ «يقال وقع بالعدو وأوقع به أي فتك به في القتال وواقع، قاله (٥) أي ألد وجزم كاذبا

الشریف غالب علی نجد واستولى علی قرية فیها فکأن هذا هو السبب لزحف الوهابیین علی الحجاز وفتحہ . والآن یرید خلفہ حسین أن یمیج علیهم اسم العالم الاسلامی کلہ والعالم الاوربی أیضاً بما یرسلہ من البرقیات التي یلفقها بأسماء مجهولة لحجاج رعایا الدول الاوربية، أو معروفة کالجنة مؤتمر الجزيرة التي ألفها بمكة للفساد والافساد فی البلاد العربیة ، فهو الذي كتب تلك البرقیات وهو الذي أرسلها الی البلاد والاقطار والصحف وكلاء الدول وجمعية الأمم (٥) من غیر أن یکلف أحد منها قرشاً من أجورها ، ومن غرائب غفلات البشر أن وجد منهم من یصدق ما قیل فیها من اتهام الوهابیین بارتكاب الفظائع التي لا یستبیحون شیئاً منها ، وحسبهم أنها شهادة ممن عرف بالكذب علی عدوه وأقرب ما اشتهر من كذبه فی جریدته (القبلة) ومن كذبه فی منشوراته الرسمية ادعاه مبايعة العالم الاسلامی له بالخلافة حتی مدن مصر المشهورة

(٥) شن الغارات علیهم وبدؤہ بقتالهم عند کل فرصة سنحت له ، واكبر هذه الغارات زحف، ولده عبد الله بأ کبر قوة اجتمعت له بعد اخلاء الترك للمدينة المنورة عقب هدنة الحرب العامة وهي التي ذكرناها فی السبب الرابع آنفاً وأوسطها زحفه علی منطقة عسیر فی إثر وفاة السيد محمد علی الادریسی الذي كان قد نخلی عنها لسلطان نجد، وفي إثر تنکیل الوهابیة بحملته هنالك وقعت حادثة حجاج الیمین الذين اعتقد الوهابیون أنهم نجدة منه فأطلقوا علیهم الرصاص ، وبعد

(*) لما فتح الوهابیون الطائف أرسل الملك حسین برقية طويلة من مكة باسم بعض أهلها والوف الحجاج من رعایا الأجانب فیها الی قناصل الدول بجدة والی جمعية الأمم بسويسرة وعواصم أوربة وجرائدها وأشهر مدن الشرق والغرب وجرائدها بزعم فیها أن الوهابیین اقترفوا أعظم الفظائع والمنکرات .. ثم ظهر كذب البرقية من وجوه متعددة وان الذين سبقوا الی احتلال الطائف كانوا من عرب الحجاز التابعین لنجد لا من النجديين وان النجديين لما وصلوا الی الطائف انتظمت الامور فیها کأنها لم تصل بنار حرب

ان عرف الامر اعتذر السلطان عبد العزيز الامام يحى عن هذا الخطأ واتفقا على حفظ المودة بينهما بتعويض مقبول معقول ، ولكن حسبنا كان قد أمطر العالم كله برقيات في التشنيع على الوهابيين

وآخر هذه الغارات حملة ولي عهد حسين الامير علي على الوهابيين بالقرب من خيبر وقد مهد لذلك بمخدعة هو بارع بأمثالها

ذلك بأن أعان عقب زيارته لشرق الاردن في أواخر العام الماضي بأنه قد عفا عن المسجونين والمعتدين وأباح المرور والدخول في المدينة المنورة وسائر الممالك الهاشمية ، وأنه لا حرج على النجديين في التجارة في بلاد الحجاز ، ولما تبعه نبجله وولي عهده السيد علي أمير المدينة المنورة (١) وإلى شرق الاردن أمره بتأليف حملة لغزو عرب ابن سعود الخيميين بالقرب من خيبر اذ يكونون وادعين هنالك ، مغترين بذلك التأمين العام والعفو الشامل ، فألفها من ستمائة هجان وأربعمائة فارس بقيادة الشريف جعفر بن سلطان ففتكت بالاخوان المتفرقين في الاطراف وسلبت أموالهم ومواشيهم وهمت بالرجوع ولكن نبأها كان وصل الى الاخوان الذين في جهة خيبر فأتبعوها وفتكوا بها فتكة لم يسلم منها الا أفراد من قارة الهزيمة واسترجعوا جميع ما أخذت ، ووصل قائد الحملة الشريف جعفر الى المدينة المنورة مضرجا بدمه فكان من سوء تأثير هذه الحملة ان زالت بقية الثقة بأقوال «ملك جميع البلاد العربية» على ما أضيف اليه من لقب «الخلافة الاسلامية» وانقطعت سبل التجارة بين نجد والمدينة المنورة كما انقطعت مع مكة قبلها وكان ذلك سببا لشدة غلاء اللحم والسمن في الحجاز كله

على أن الامير عليا أذاع في جرائد سورية وفلسطين وغيرها وجريدتهم قبلة الكذب أن بعض الوهابيين حاولوا الاعتداء على سكة الحديد الحجازية فأدبتهم

« ١ » وهو الذي وردت البرقيات قبل نشر هذه المقالة بنصبيه ملكا على الحجاز وهو أعجز من والده عن ارادته وحفظ الامن فيه

الجنود الهاشمية، أو ما هذا معناه. هذا ما يخص ما كتبه اليانابعض رجالهم بل ضباطهم (٦) بث حسين الدسائس واغراؤه للعداوة والفتن بين نجد والبلاد المجاورة لها منذ اعتقد أن الحجاز صار ملكا له وأنه سيكون في خاتمة الحرب ملكا على جميع البلاد العربية بما كان يكتبه الى ابن الرشيد وآل عابض وغيرهم ، وهذا أمر قد أذاعته حكومة نجد في البلاغ الذي نشره الامير فيصل بنجل سلطان نجد في جرائد مصر وغيرها المؤرخ في ٢٠ رجب سنة ١٣٤٢ وقد جاء فيه ما نصه :

«ان نحت يدنا من الكتب والرسائل التي وجدت في تربة والخرمة وعسير ما يفيد أن ملك الحجاز وولده عبد الله لا يسمعون الا لشهواتهم ومصالحهم ولو أدى ذلك الى هدم بناء العرب ولكننا نمسك عن نشرها الآن فان سمح لملك الحجاز بنشرها نشرناها وهناك يعلم العالم الاسلامي والعربي تلك الجنايات والدسائس» الخ (٧) ما ذكر في هذا البلاغ النجدي الرسمي من بث حسين الدسائس في

بريدة من بلاد نجد واغرائها بالخروج على حكومتها

(٨) انه كان سديا في فشل مؤتمر الكويت اذ اشترط في الاتفاق مع ابن سعود

تركه لبعض بلاده كما هو مشهور(٩)

فعلم من هذه الاسباب أنها تفصيل لخطة حسين فيما سماه الوحدة العربية التي ذكرنا نص عبارته الرسمية فيها في المقالة السابقة وهي واضحة في أنه لا يقر له قرار حتى يزيل سلطنة نجد من الوجود ويجعل بلادها تابعة له . وهذا كاف في عرف كل دولة وكل حكومة في العالم لمقابلته بالمثل ، ولكن السلطان ابن سعود لم يحفل يوما ما بعداوة شريف مكة لعلمه بضعفه وعجزه، أن ينال منه منالا وقد صرح نصريحا رسميا بأنه انما ينقذ الحجاز من ظلمه وبغيه لاجل المصلحتين

(*) تواطؤ ملك الحجاز حسين هو وابناه فيصل ملك العراق وعبدالله أمير شرق الاردن على ان يشترطا في اتفاقهما مع سلطان نجد على الحدود وغيرها الاتفاق على حدود الحجاز ومطالبه، وصرحوا بان منها ترك سلطان نجد لبلاد حائل وللاجوف وسكاكه من بلاده المتصلة بسورية وللخرمة وتربة من جهة الحجاز وعسير - ولذلك فشل مؤتمر الصلح

الاسلامية والعربية اللتين فصلنا أسبابهما في المقالة السابقة . وسنبين في المقال التالي وجه الوجوب الشرعي لهذا الانقاذ ممن سمى نفسه (المنقذ) ونبين أن هذا خدمة جليلة للمصلحتين بالدليل والبرهان

المقالة الرابعة

الوثائق الرسمية لنجد على طاغوت الحجاز

بيدنا في المقالة الثانية الاسباب العامة التي توجب انقاذ الحجاز من طاغوت مكة حسين بن علي بن علي من قدر عليه من المسلمين كأهل نجد ، وفي المقالة الثالثة الاسباب الخاصة بأهل نجد انفسهم ، ونسبنا أن نمد منها منعتهم من التجارة في الحجاز بل جاء بالعرض وهو الذي كان من أسباب شدة غلاء السمن واللحم في مكة كما بيناه في المنار من قبل ، وقلنا ان هذه الاسباب الخاصة كافية في البعث على القتال عند كل أمة ودولة ، ولكن سلطان نجد لا يبالي بعداوة حسين له لبلاده ، ولا بمظاهرة أصحاب الألقاب الفخمة له من أولاده ، الذين لم يستح كل واحد منهم باظهار لاحقار له بمثل قولهم ليس ابن سعود إلا شيخ عشيرة أو قبيلة — وإنما هو يرجح الواجب الشرعي والمصلحة العامة الاسلامية والعربية على المصلحة النجدية الخاصة ، ونحن نؤيد قولنا بالوثائق الرسمية حقيقة أو حكما كما أبدنا كل موضوع مما بيناه في المقالات الثلاث

نشرنا في المنار ثلاث وثائق صدرت من الرياض عاصمة آل سعود فيما بين الحجاز ونجد من الخلاف سبقنا الى نشرها كثير من جرائد مصر وغيرها من البلاد الشرقية ولا سيما العربية

(الأولى) : بلاغ بامضاء الامير فيصل بنجل السلطان عبد العزيز آل سعود عنوانه « الحقيقة والتاريخ » وجهه الى أشهر الصحف في العالم الاسلامي في ٢٠ رجب سنة ١٣٠٢ بتضمن سعي سلطان نجد في أثناء الحرب وبعدها لبناء الوحدة العربية

ومقابلة الملك حسين له بالاستهزاء وسعيه لنقض بنياتها بما كان يسعده من نار الفتن والدسائس « الخ وقد حدثنا من سمع من لسان السلطان عبد العزيز آل سعود أن فيما كتبه الى ملك الحجاز أن يكون هو (أي الملك حسين) رئيس الوحدة العربية المقترحة . . . فهزيء به ولم يرد عليه ، وفي هذا البلاغ انذار للملك حسين بنشر المكثوبات التي وجدت بامضائه في تره وعسير والقصيم في الحث على الافساد والفتن اذا هو ماري فيها

(الوثيقة الثانية) : بلاغ آخر منه « لأمالم الاسلامي والشعب العربي » صدر من الرياض في ٢٨ شوال سنة ١٣٤٢ هـ افتتحه بأنه منذ بضع سنين قام نفر من العرب يطالبون باستقلال شعبيهم واتحاد أمرائه فخدمت حكومة نجد شعبيهم (قال) « وعرضنا عليهم مساعدتنا على أن نضع حدا لمطامع الاجانب ومقدار مداخلتهم في بلاد العرب فأبوا الا أن ينفردوا بهذا العمل الخطير يأخذوا على عاتقهم مسئوليته ويحوزوا وحدهم فخر تحرير بلاد العرب — فقلنا أنجح الله استقلال العرب أيا كان المحرر والمنقذ . ولكن ما كاد السيف يوضع في غمده حتى رأينا الاستقلال والتحرير وصاية وانتدابا ، وحتى رأينا شباب العرب وأحرارهم يقادون الى السجون ويجلون عن بلادهم ، ويمنعون من الإقامة في ديارهم ، فهل الاستقلال أن يصبح العرب غرباء في بلادهم ، ومرافق الحياة في يد غيرهم ؟ ولو لا أن الحجاز يمس شعور المسلمين احتلاله لرأينا الانتداب قد ضرب عليه »

ثم ذكر مناوأة هؤلاء الجناة على البلاد العربية لنجد جارتهم لانها « قوية مستقلة لم تنفذ اليها مطامع المستعمرين » ثم قال

« ان نجداً تمد يدها لكل من يريد خير العرب ويسعى لاستقلال العرب ،

وتساعد كل من ينهض لتحرير العرب واتحاد العرب

« ان نجداً ترحب بكل عربي أبي ، وتعد أرضها وطناً لكل عربي سوري

أو عراقي أو حجازي أو مصري ، ان نجداً لا تطعم في املاكك أرض خارجة

عن حدودها الطبيعية . ولكنها لا تقبل الا أن تستقل بلاد العرب كلها استقلالاً صحيحاً لا يكون غير أبنائها سلطان عليها »

ثم ذكر مسألة الخلافة فنفى أن تكون وظيفته روحية للتبرك وأثبت أنها حق لجميع المسلمين ليس لجماعة أو شعب حق البت فيها وأنهم لذلك أنكروا على حسين بن علي « عجلته والخط من شأنها بقبوله هذا المنصب الذي لا يليق له .. (وقال) ان أهل نجد يوافقون اخوانهم أهل مصر والهند في وجوب عرض هذه المسألة على مؤتمر يمثل الشعوب الاسلامية تمثيلاً صحيحاً »

فهذه تصريحات قطعية في رأي حكومة نجد في استقلال البلاد العربية استقلالاً صحيحاً مطلقاً من قيود الوصاية والانتداب التي جناها عليها بيت حسين الحجازي ولا يزالون يخدمون حلفاءهم في تمكينها جهاراً ، ونصوص لا تحتلل التأويل بأن أئمة نجد وحكامها يعدون جميع الشعوب الاسلامية اخواناً لهم خلافاً لما يقتره عليهم حسين بن علي وأجراؤه من عدم اعتراف النجديين لاحد بالاسلام غير الوهابيين

(الوثيقة الثالثة) ما صرح به السلطان عبد العزيز آل سعود نفسه في مؤتمر الشورى الذي عقد في الرياض عاصمة نجد في أول شهر ذي القعدة الماضي سنة ١٣٤٢ فقد اجتمع هنالك كبار علماء البلاد وزعمائها ورؤساء الاجناد وقوادها في قصر الامام عبد الرحمن الفيصل والد السلطان الذي حضر مجلسهم وكانوا قد كتبوا الى والده الجليل برغبتهم في أداء ركن الاسلام — الحج ، والاستعداد لغزو ملك الحجاز وصد عدوانه ، فأخبرهم أنه أرسل مكاتباتهم الى ولده (السلطان) في أوقاتها وقال لهم اسألوه عنها

فتكلم عنهم سلطان بن مجاد بن حميد زعيم برقامن عتيبة وأمير هجرة غطفان قال « أيها الامام ! اننا نريد الحج لا محالة ولا نستطيع ان نصبر على ترك ركن من اركان الاسلام مع قدرتنا عليه ، ان مكة ليست ملكاً لاحد ، ولا يحق

لاحد أن يمنع مسلماً أو يصد مؤمناً عن أداء فريضة الحج . اننا نريد أن نحج
فان منعنا شريف مكة دخلنا مكة بالقوة ، وان لم يصدنا عن سبيل الله أو يلحق
بنا أذى فنحن نحج ولا شأن لنا به . واذا كنتم ترون من المصلحة تأخير فريضة
الحج فلا بد من غزو الحجاز وتخليص البيت من سيطرة طاغية مكة الذي أرقق
العباد وضرب من المكوس والرسوم على قاصدي بيت الله الحرام ما تبرأ منه
الشريعة الطاهرة»

فأجاب السلطان بأحالة الحكم في مسألة الحج على العلماء فقررروا وجوب أدائه
بالرضا أو القوة الا أن يكون في ذلك مفسدة راجحة وسألوه عن ذلك فشرح لهم
ما كان من سعيه للسلام والامان في الجزيرة والعيش مع شرفاء مكة بالمحبة والمودة
وما كان من سعي الشريف حسين لالقاء القن بين النجديين الى أن قل مانصه :
«السلطان عبد العزيز : أيها العلماء والاخوان لقد سمعيت من مدة طويلة في
بسط السلام والامان داخل الجزيرة فنحن لا نود أن نحارب من يسالمتنا ، ولا
نمتنع عن مصافاة من يضافينا . لقد أحببت أن نعيش مع أشرف الحجاز كما يعيش
الجيران على المودة والمحبة ولكن شريف مكة كائنهمون يسعى دائماً لبث الدسائس
والإفقاء بذور الخلاف بين عشائرتنا ، ولكنه كان دائماً يبوء بالخسران ، والله لا
يتترك الحق بصرعه الباطل . ان شريف مكة قد ورث من أسلافه بغضكم فهو لا
يفتأ يطمئن في طريقكم السوي وسيرتكم الحميدة ، ولا يألوا جهداً في الاقتراء علينا
والطمئن على علمائنا ولكن أهل الحق لا يضرهم من ناوأهم ، ولا ينصرنهم الله ما
نصروا دينه ، وظاهروا شريعته

« ان شريف مكة لم يكنه ادعاؤه الزعامة على العرب مع أنه أضعفهم بل
قام بإقرب نفسه بإمارة المؤمنين مع أنه يعلم أن الاقطار الاسلامية كلها تبغضه ،
وان علماءكم قد أرسلوا التلغرافات الى مصر والهند ينكرون عليه هذه الدعوى
التي لا نراه كفوا لها ، ولا بد لنا من وضع حد لا كاذبيه وافساداته
« وأما الحج هذه السنة فلا أراه من مصاحتكم . أنا لا أقبل أن تحجبوا بكم

شيء من الضعف أو يلحق بكم نوع من الأذى والضرر، وإني على يقين أن أخذ مكة والمدينة لا يحتاج إلى أكبر مجهود ولكن مكة ليست لنا وحدنا بل هي للمسلمين كافة، وما دمنا لم نضع خطة بالاشتراك مع المسلمين فأنا لا أجهز لكم الاستيلاء على إحدى المدن المقدسة

« إن شريف مكة قد لا يمنعكم من الدخول إلى مكة ولكن الرجل لا يعدم وسائل الشرف فقد يدس من يتحرش بكم لتحدث فتنة في مكة في موسم الحج وفيه المسلمون من كل جنس وإني أكاد أجزم أن هذه خير فرصة له ليهيج علينا العالم الإسلامي الذي أخذ يفهمنا ويقرب منا وتقرب منه، واعلموا أن الأمر لا يطول فاصبروا إن الله مع الصابرين »

عندئذ قال العلماء بصوت واحد : أنه لا حرج عليكم من تأخير الفريضة هذا العام، ما دام أن أديانها قد يؤدي إلى فتنة في بلد الله الحرام اه
فهذا نص قطعي رسمي من سلطان نجد في مجلس الشورى العام لبلاده في الحامل له على انتقاد الحجاز من هذه الحكومة الطاغوتية التيصيرية، المسماة بالعربية الهاشمية، لا تحتل التأويل، ولا الدعاية السياسية التي لا تعرف في تلك البلاد ولو في غير ذلك المجلس الرسمي، ولقد صبر سلطان نجد صبراً لم يعد له نظير من قومي يعتدي عليه جميع أنواع الأعداء الديني والديني من ضعف عاجز بوصول ويغي مراً وجهاً حتى يتجراً على مطالبة هذا القوي في مؤتمر الكويت بأن يترك لأمه جل مملكته — أغني ألقبم الاحساء الذي استرده سلطان نجد من الدولة العثمانية — وأما آل الرشيد الذين ناصبوا بلاده العداء حتى انتزعوها من والده بمساعدة الدولة ثم أدال الله له منه — وأما عسير التي استولى عليها بالانفاق الذي عقد بينه وبين المرحوم السيد الإدريسي — وتربة والخرمة المختلف عليهما بين حدود الحجاز ونجد، ورضي ابن سعود باستفتاء أهلها

ملخص ما تقدم : أن سلطان نجد قد علم هو وأمه بعد التروي واستفتاء

العلماء أن انتقاذ الحرمين الشريفين من حسين بن علي واجب شرعا ولو لم يكن لذلك من موجب الا منع أهل نجد من الحج لكفى فكيف اذا أضيف الى ذلك سائر ما أشرنا اليه فيما أجملناه في الاهرام وفصلناه في المنار من الحادء بالظلم لاهل الحرمين والحجاج، وإدخاله للنفوذ الاجنبي في البلاد، وخطره على الامة العربية وما بقي لها من البقعة الصغيرة المستقلة في جزيرتها، وتكفيره للترك والمصريين كالتجديين ثم تنحله منصب الخلافة

وفي تصريح السلطان عبد العزيز نص قطعي باعترافه هو وعلماء بلاده باسلام جميع الشعوب الاسلامية والرغبة في التعارف والترادف معها وبأن هؤلاء الامراء الحجازيين ورثوا عن سلفهم تكفير التجديين والطعن فيهم والتكفير منهم

وقد استفتينا واستفتي غيرنا في شأن هذا الباغي (الملك حسين) في سنة ١٣٤١ فأفتى بعض علماء الازهر بأنه من البغاة المتغلبين الذين يجب قتالهم على امام المسلمين. وكتبنا نحن فتوى مطولة نشرناها في المنار الذي صدر في ذي الحجة من تلك السنة (ج ٨ م ٢٤ ص ٥٩٣ — ٦١٦) ونشرناها في جريدة الاهرام أيضا أجملنا فيها صفاته وجنائياته التي يقتضي بعضها الردة الا أن يوجد ما يدفعها من شبهة، وأقلها البغي والاحاد بالظلم في الحرم — الى آخر ما لخصناه في هذه المقالات وليكننا استدركنا على من جعل حكمه حكم البغاة متسائلين : أين امام المسلمين الاعظم الذي يجب عليه قتاله ؟ ؟

ثم بينا أن انتقاذ الحرمين من بغية وظلمه يجب على كل من يقدر عليه من جماعات المسلمين وأمرائهم وان أقدرهم على ذلك سلطان نجد وامام اليمن وذكرنا ما يقال في المانع المشترك لهما من ذلك وهو الخوف أن يفضي الى تدخل الانكليز في الحجاز لانه جعله تحت حمايتهم — وقد ثبت هذا بدعوته هو وخلفه المتداول لهم واستنجادهما بإبائهم لارسال طياراتهم وغيرها لقتال سلطان نجد وإرجاءه عن الحجاز — وذكرنا أنه لا يرجي من امام اليمن أن ينقذ الحجاز — وما كان

يقول أكثر الناس في مثل مصر وسورية من سبب امتناع ابن سعود عن الاستيلاء على الحجاز وهو اصطاع الانكاز له بالمال وتخويفهم إياه من تأليب الحجاز والعراق وعرب فلسطين عليه اذا هو خالف رأيهم في ذلك ، وقولهم انهم هم الذين صرفوه عن أخذ مكة بعد سحقة لا عظم قوة ساقها عليه الحجاز بقيادة الامير عبد الله في تربة — ومن المعلوم أن سبب هذه الآراء دعاية الحجازيين وأقوال جرائد المأجورة

ثم ذكرنا أقوال النجديين في سبب ذلك وهي ترجع الى سببين (أحدهما) كراهة السلطان عبد العزيز آل سعود لسفك الدماء وحبه للسلم وأنه لذلك أخضع آل الرشيد بالحصار الطويل في أشد أيام العسرة والغلاء (وثانيهما) تخرجه وتأنئه من دخول مكة فاتحاً وقد صح في الحديث أن القتال فيها لا يحل لاحد حتى قال بعض العلماء ان أفراد الجناة الذين يثبت شرعاً وجوب قصاصهم يجب أن يقتلوا خارج الحرم

ثم ذكرنا أقوال الائمة وكبار العلماء في مسألة القتل والقتال في الحرم وان الشريف حسين لم يبال بجمرة الحرم فقتل الترك فيه ولا يزال يقتل كل من يزين له هواه قتله ويسمي فعله حداً شرعياً ، وان المخرج من ذلك سهل وهو كما اقال بعض العلماء أن تحصر شقة الحرم وهي محدودة حتى يضطر المعتصم فيه الى التسليم — وقد فعل ذلك الوهابية عند الاستيلاء على الحجاز في فجر القرن الثالث عشر للهجرة فحاصروا الشريف غالباً وأعوانه وقطعوا عنهم ماء عين زبيدة حتى اضطروا الى التسليم ، ودخل الوهابيون مكة محرمين

وبذلك علانا تأخرهم عن فتح مكة في هذه المرة على اختلاف أهواء الكتاب وآرائهم في تعليمه ، وإرجاف أجراء الوكالة العربية الهاشمية الملكية الامامية الخليفة (١) بمصر في هذه الفرصة تارة بأنهم عادوا أدراجهم مخذواين ، وتارة بانتظارهم

الاشارات المطاعة أن ترد عليهم من لدن كائنظار الملك الخليفة حسين أولاً
وانتظار الملك علي النيابي الدستوري المدني ثانياً !!!

وإننا لمعجب أن صدق هذه الفرية بعض المصريين العـرفين بالشؤون
العامه ، وسيعلمون أن الانكيز يمدون نجاح الوهابية أكبر الاخطار على
مطامعهم في العرب والاسلام

كذلك سوغت لهم هذه الفرصة تكبير أمر هذا القتال بايهم الناس أنه من
أعظم الحروب تسيل فيه الدماء أنهاراً في المعارك التي تشيب لهولها الولدان ،
وتتمثيل الوهابية للناس في صور السباع الضارية والوحوش المفترسة: تبقر البطون،
وتدف الصدور، وتمزق الاشلاء، وتبلغ في الدماء، وما سجتهم على ذلك الا البرقية
التي طيرها سيامة لزمان حسين الى جميع بقاع الارض بامضاء بل أسما مجهولة من سكان
مكة وحجاجها وأنفق الالوف عليها ، والحق الواقع أنه لم يكن ثم إلا مناوشات
ضئيلة مرتين أو ثلاثاً ولولا بعض اليونانيين وغيرهم في جيش الحجاز لما وقع شيء
من ذلك يذكر لأن أهل الحجاز مجمعون على مقت الطاغوت المرهق، الذي يسعى
نفسه المنقذ، وما زالوا يدعون الله بانقاذهم منه حتى استجاب لهم

وقد بنى على هذه الارجيف الخاطئة الكاذبة الدعوة الى استصراخ أمم
الشرق والغرب من جميع الملل والنحل الى التعاون والسعي لانتقاذ البشر من هذه
الكارثة التي تصفر دون وقائهم معركة (فردون) وغيرها من معارك حرب
المدنية العظمى ، وإنما الغرض من ذلك ابقاء حكم الطاغوت الاكبر في حرم
الله تعالى يرهق أهله ومن يرد اليه من الحجاج ظالماً ويميت الالوف منهم ظالماً الخ
وقد انخدع بهذه الارجيف مجلس الامور الشرعية المحلية بفلسطين المسمى
بالمجلس الاسلامي الاعلى فطير البرقيات الى ملوك المسلمين وجمعياتهم لدينية
وغيرها يستصرخهم للتعاون على ايقاف هذه الحرب حقناً للدماء . . . وكذلك
جمعية الرابطة الشرقية التي رددت صدى هذا المجلس في جاسة لم تبلغني دعوتها

الآن بعد اجتماعها . ولا شك في حسن نية المجلس والجمعية ، ولو صدقت أراجيف الحجاز لكنت على رأي اخواني فيها فأنا وكيل هذه الجمعية وأعضاء المجلس كلهم محترمون عندي ورئيسهم من خواص أصدقائي ومن أقرب الناس الى رأيي قد طالت هذه المقالة وكنا نريد ختم هذه المقالات بها ولكن علمنا بعد كتابتها وقبل نشرها أن الله تعالى قد قضى على الطاغوت الأكبر مثار الشقاق والنفاق حسين بن علي وأنفذ الحجاز منه فخرج من جدة مذؤم مدحورا ، ولو بقي فيه ولو بعد عزله لما أمنت شره ، وسينقله قريبا من ولده وولي عهده وخليفته الملك علي المهزوم المدحور ، الذي لم يكف يسمى ملكا للحجاز بعد انهزامه من الطائف أولا ومن الهدى ثانيا ومن كرى ثالثا حتى أبرق الى وكيل والده ناجي الاصيل بأن يمضي المعاهدة البريطانية الحجازية المتضمنة لاقرار الانكليز على السيادة على البلاد المقدسة وتمليك رقبته لليهود الصهيونيين واعطاء البريطانيين من الحقوق في الحجاز ما قامت قيادة العالم الاسلامي على والده من أجله وان لنا كلمة ختامية فيما يجب على المسلمين للحجاز وأخرى في السياسة البريطانية مع العرب في هذا الطور الجديد

المقالة الخامسة) *

﴿ ما ينبغي للمسلمين علمه وعمله ﴾

أيها المسلمون

ان الحجاز مهد دينكم ، وفيه بيت ربكم ، وهو قبلة صلاتكم ، ومشاعر نسككم ، وشعائر الله لكم ، فيه يقام الحج الأكبر ، الذي هو ركن الاسلام الاجتماعي الاوحد ، وفيه مقام ابراهيم ، وقبر نبيكم الكريم ، عليهما من الله أفضل الصلاة والتسليم . وقد جاء الاسلام بحرية الاديان الا في حرم الله وحرم رسوله وسيماجهما من جزيرة العرب ، فهما خاصان بدين الاسلام ، وقد امتدت اليهما أيدي

(* نشرت في الاهرام بتاريخ ١٩ ربيع الاول ١٨ أكتوبر

غير المسلمين في هذه الايام

روى الامام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله تعالى عنه قالت
 أخر ما عهد رسول الله (ص) ان قال « لا يترك بجزيرة العرب دينان » وروى
 أحمد ومسدد والحميدي في مسانيدهم والبيهقي في سننه من حديث أبي عبيدة (رض)
 قال : أخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجوا يهود أهل الحجاز
 وأهل نجران من جزيرة العرب » وفي رواية نصارى نجران

وروى أحمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال : اشتد برسول
 الله (ص) وجهه يوم الخميس وأوصى عند موته بثلاث « اخرجوا المشركين من
 جزيرة العرب ، وأجبروا الرfid بنحو ما كنت أجبرهم » قال سليمان الاحول
 راوي الحديث عن سعيد بن جبير الذي سمعه من ابن عباس : ونسيت الثالثة .
 وحملها العلماء بالاحتمال على ما صح من وصاياه الاخرى في مرض موته — صلى
 الله عليه وسلم — كقول « لا تتخذوا قبوري وثنا » وفي موطأ الامام مالك ما يشير
 الى ذلك — أو وفداً امامة — أو الوصية بالنساء والرقيق .

وقد أجلى النبي (ص) بني قينقاع وقريظة والنضير المحاربين له من يهود
 المدينة وأندر من بقي من اليهود الجلاء بعد عجزهم عن قتاله ليخرجوا بسلام
 ويحفظوا أموالهم ، فقد روى البخاري في مواضع من صحيحه وأبو داود والنسائي
 عن أبي هريرة قال : بينما نحن في المسجد خرج النبي (ص) فقال « انطلقوا الى يهود »
 فانطلقنا حتى جئنا بيت المدراس (هو بوزن المفتاح العالم الذي يدرس كتابهم)
 فقال « أسلموا واسلموا ، واعلموا ان الارض لله ورسوله ، وانني أريد ان أجليكم
 من هذه الارض فمن يجد منكم بماله (أي بدل ماله) شيئاً فليبعه — فاعلموا ان
 الارض لله ورسوله » والمراد أرض المدينة وسائر الحجاز

وروى أحمد ومسلم والترمذي من حديث عمر بن الخطاب (رض) انه سمع
 رسول (ص) يقول « لا تخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع

فيها الا مسلمانا ، ولما كان أبو بكر (رض) لم يتسمع له الوقت لتنفيذ هذه الوصية نفذها عمر (رض) فقد روى البخاري عن عبد الله ان عمر والده (رضي الله عنهما) أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز ، وذكر يهود خيبر الى ان قال : اجلاهم عمر الى تيماء واربحاء .

سبب هذه الوصية النبوية معروف دلت الأحاديث الصحيحة وهو ان الله تعالى أطلع رسوله (ص) على ما سيكون من مطاردة الامم لامتهم وملكهم اياها ما يخولها الله تعالى من الملك ، ومحاولتهم القضاء على دينها بعد القضاء على ملكها ، فأراد ان يكون مهد الاسلام معتقلاً لها تعتصم فيه ، ولا تجول للامم التي ستبغى عليه سبيلاً للدخل في شؤونه ، كما تفعل الآن دول الاستعمار الكبرى ، وفي مقدمتها حاكمة البيت الحسيني في الحجاز بريطانيا العظمى : هذه الدولة التي أرادت ان تجعل طائفة القبط وسيلة لحرمان مصر من الاستقلال فلما خيبروا أملاًها خفت مسألة الاقليات بدون قيد ، وكلفت نفسها بدون اذنتهم ، ان تبقى محتملة لمصير لاجل حمايتهم - هذه الدولة التي خافت للعراق العربي شعباً اشورياً قسماً عليه التاريخ منذ ألوف السنين فتلدته السلاح وحملته على مطالبة جمعية الامم بتأسيس دولة جديدة له في العراق ، لاجل العداء والشقاق ، وانتدع به لابقاء العراق تحت سلطانها الى يوم التلاق . - هذه الدولة التي ما زالت تكيد للدولة العثمانية وتتوسل الى اسقاطها بالارمن والروم وغيرهم الى أن سقطت وزالت من الارض فحاولت القضاء على شعبيها الاسلاميين الكبيرين - العرب والترك - فحات احداث الزمان دون الاجهاز على الشعب التركي ، ووجدت من حسين الملكي وأولاده أقوى نصير للقضاء على الشعب العربي ، فلما سلب الله تعالى عليه شعباً شديداً الاعتصام بالاسلام ، طرده من الحجاز في هذه الايام ، قامت جرائمهم تدعو بالويل والثبور ، وتنذر قومها الخطر الاسلامي العربي على ما سلبوا من بلاد العرب ان ينفلت من أيديهم أيها المسلمون ؟ تأملوا الشواهد على صحة قولي هذا اعلمكم تتفكرون : روى

مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا الى النبي (ص) قال « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ ، ويأرز بين المسيحين كما تأرز الحية في جحرها » وروى الترمذي من حديث عمر بن عوف مرفوعا اليه (ص) قال « ان الدين لأرز الى الحجاز كما تأرز الحبة الى جحرها ، رابع لمن الدين من الحجاز معقل الاروبة من رأس الجبل (١) ان الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سني »

وما يخص معنى هذه الاحاديث أن المسلمين سيطرأ عليهم الفساد بالبدع حتى يكون الاسلام نفسه غريبا فيهم ومحتاجا الى الاصلاح — وأنهم سيضطهدون دينهم ولاجل دينهم ، حتي لا يجردون ملأ يعتصمون فيه لاقامته الا معقله الذي ظهر فيه غريبا وهو الحجاز ، فيكون فيه عزيزا قويا كعصم الوعول في شباخيب الجبال . ومن تمام التشبيه ان يستتبع ذلك ما استتبعه أولا من الملك والعمران (ان شاء الله) أيها المسلمون : الى متى أنتم غافلون ، ان لدولة البريطانية ولية حسين بن علي المكي وأولاده من دون الله والمسلمين هي التي أخذت على نفسها القضاء على دين الاسلام في الشرق بعد القضاء على حكمه . وقد سلكت أقرب الطرق الى ذلك وأقاربا خسارة ونفقة ؛ وهو جعل الشعوب الاسلامية أسلحة لها تضرب بعضهم ببعض ، الى أن يهلك الجميع وتكون السيادة لها وحدها على بلادهم — وهي هي التي قاتلت المصريين باذن ولادة الامر من السلطان والخيديو — وهي هي التي قاتلت السودانيين بالمصريين ، وهي هي التي قاتلت قبل ذلك بعض ملوك الشرق وأمراءه ببعض ولاسيما في الهند ، كما سترون في المنار من مقال للسيد جمال الدين الافغاني (٢) الذي كان أول من نبه الشرق عامة والمسلمين خاصة لعداوتها —

(١) أرز : كعلم وضرب ونصر : تجمع وانكس وعاد ونبت . والاروبة بضم الهمزة وكسر الواو وتشديد الياء أي الوعول وهي تعصم في أعلى الجبال

(٢) نشر هذا المقال في ج ٧ و ٨ وكان الوعد في الاهرام قبل صدورها

وهي هي التي قاتلت الترك بالعرب الذين خدعهم ملك الحجاز وأولاده حتى سلبت منهم أخصب بلادهم وقررت اعطاء البلاد المقدسة منها لليهود ، وجعلهم شعباً جديداً قويا بين مصر وسورية والحجاز ، يستعينون به على أهلها من العرب في حرمانهم من رقبة بلادهم وخيراتهم — وهي هي التي ألقت العداوة والبغضاء بين امام اليمن والسيد الادريسي — وهي هي التي أغرت العداوة والبغضاء الموروثتين بين النجديين وأمراء الحجاز — وهي هي التي أطمعت الطاغوت حسين بن علي بالخلافة الاسلامية وملك العرب كلهم تحت حمايتها ، وقد بينا بعض الوثائق الرسمية في ذلك كله أيها المسلمون : ان العقل وحالة الاجتماع العامة وتقاليد السياسة الانكليزية الخارقة كلها تؤيد معنى ماورد في الحديث الذي صدقته وقائع التاريخ التي أشرنا اليها آنفاً من ان الله لا يهلك المسلمين الا بقتال بعضهم لبعض

روى مسلم من حديث ثوبان (رضى) قال قال رسول الله (ص) « ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها (١) وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنز بن الاحمر والابيض . واني سألت ربي لاني أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليها عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم (٢) وان ربي قال لي يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد . واني أعطيتك لامتك ان لا أهلكهم بسنة عامة ، وان لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها — أو قال من بين أقطارها — حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبي بعضهم بعضا »

وقد ظهر صدق هذا الحديث في الفتح الاسلامي للشرق والغرب ، ثم في ذهاب ملك المسلمين كما أشرنا اليه آنفاً في شأن بعض دول الشرق الاسلامي ومثله دول الغرب القديمة والحديثة فلولا نفرق أهل الاندلس وتعادتهم وتقائهم لما زالت

(١) زوى الشيء يزويه جمعه وقبضه والمراد انه تعالى أطلعه عليها

(٢) يكنى بالبيضة عن موضع سلطنة القوم وملكهم ومستقر قوتهم وما يحجونه من حقيقة قوتهم

دولتهم وورثها الاسبانيز، ولولا مسلمو مراكش لما فتحت فرنسا الجزائر ثم لولا مسلمو الجزائر لما استولت فرنسا على مملكة مراكش

أيها المسلمون ! لا يكن أمركم عليكم غمة في مسألة زحف النجديين لانقاذ الحجاز من صنيعه الأجانب حسين المكي وأولاده . قد بينا لكم بالوثائق الرسمية حقيقة السبب الحامل للسلطان ابن سعود على ذلك وأنه اسلامي محض لتأمين فريضة الحج ومنع الاضطاد والظلم في الحرم وقطع عروق النفوذ الاجنبي في مهد الاسلام ، المانع من تنفيذ وصية المصطفى عليه الصلاة والسلام

وكذا منع حسين وأولاده مما صرح به رسميا من عزمه على إخضاع جميع حكومات جزيرة العرب لحكمه قبل ادعائه الخلافة فكيف يكون خطره بعد ادعائه حق الولاية العامة عليهم شرعا ؟

أرجف بعض الكتاب الذين يخدمون السياسة الانكليزية من طريق الحجاز بأن سلطان نجد يريد اكرام حسين بصفاء على توقيع المساعدة العربية البريطانية، فمضى خضم عاد جيش نجد أدراجه ، ورددت جرائد أخرى هذا الارجاف فظهر كذبهم وارجفوا بأن ابن سعود ينفذ للانكليز في الحجاز ما لم ينفذه حسين وأنهم هم الذين أغروه بالاستيلاء على الحجاز ، فظهر كذبهم أنهم الظهور بما نشرته صحيفة إرجافهم بمصر من برقيات لندن - أولا - من خبر الاتفاق بين ابن سعود ونوري باشا الشمال رئيس قبائل الرواة على سماح الاول للثاني ببقعة الجوف بشرط منع الانكليز من مد سكة حديدية بين فلسطين والعراق - وثانيا - بترقية النيمس التي أرسلها اليها مراسلها من الاسكندرية الناطقة بأن احتلال ابن السعود للحجاز وموانئه الواقعة على البحر الاحمر مفعم بأخطار شديدة ! ! وأنه يحمل معظم القبائل على الانضواء الى كنفه والسير تحت لوائه - وأنه يرجح أن ينتقل من انقاذ الحجاز الى انقاذ شرق الاردن وفلسطين وكذا اليمن على احتمال

ثم ان هذا الانكليزي الغيور على الاسلام والعرب طعن في دين الوهابيين

ومذهبهم ووصفهم بالتوحش وكراهة المذنية وأظهر خوفه وحذره من إكراههم
لغيرهم على اتباع مذهبهم وغيرته على المعاهد المقدسة !! واستدل بهذا كله على أنه
يجب على الدولة البريطانية وهي أكبر دولة إسلامية (!!!) أن تبادر إلى رد الوهابيين
عن الحجاز قال « فتقذ بذلك المعاهد المقدسة في الحجاز من أن تمسها يد الوهابيين
بالتدمير والتخريب - وليس ذلك فقط - بل تزيل أيضا خطرا شديدا يهدد
البلاد العربية ، وتقضي على عامل يلقى السلم في جزيرة العرب ، فاذا لم تزل زوالا
تاماً فأنها تخفف من حدته كثيراً »

المعنى الصريح المراد من هذا الكلام أن انكلترا ترى من أعظم الخطر
على سياستها في البلاد العربية أو الإسلامية أن يوجد في المسلمين أمير مسلم قوي
ولا سيما إذا كان مسلماً مؤمناً معتصماً بدينه مؤيداً بشعب صادق الإيمان كابن
سعود وقومه ، لا يباع ولا يشتري بالذهب الانكليزي ولا باللقاب الفخمة الضخمة
كحسين وأولاده ، لأن قوة مثل هذه تحول دون نجاح السياسة البريطانية في إزالة
الإسلام من الأرض من حيث هو دين سيادة وسلطان ، ثم في إزالته من الأرض
من حيث هو دين عقيدة وإيمان ، ويستتبع ذلك احتمال انقراض ما استعبدته من
الشعوب الإسلامية والعربية .

ثم إن مرد كتاب الانكليز وسنائهم بمصر من نشر هذه الأراجيف
والنضيلات تمهيد السبيل لحل المسلمين في مثل الهند ومصر وفلسطين وسورية
على استقباح استيلاء الوهابيين على الحجاز ، وتبني إخراجهم منه لتتوسل الدولة
البريطانية بذلك إلى بذل قوتها لإجلاتهم عنه خدمة الإسلام والمسلمين (!!)
لأنها شديدة الحب لهذا الدين والإيمان به ومغرمة القلب بحب المسلمين كافة كما
فعلت من قبل في احتلال أوطانهم حباً فيهم وتكريماً لدينهم (!!) وهل كان فتحها
الصائبي للقدس الشريف واحتفالهم بذلك في جميع كنائسهم إلا من آثار هذا
العشق والغرام ؟ وهل نملئها رقبة فلسطين لليهود الصهيونيين ونجديد ملك لهم

في قلب بلاد العرب الامن عشق الاسلام والمسلمين كافة ، والعرب منهم خاصة (١١) يظهر ان مدير التيمس ومراسل التيمس بمصر وأمثالهما لا يزالون يظنون كما يظن رجال الوزارة الخارجية البريطانية ان المسلمين لا يزالون كالبه يصدقون كل ما يقول الانكليز بدليل ان بعض أهل فلسطين وسورية والعراق لا يزالون بمعظمهم حسينا وفيصلا وعبد الله مع ظهور خيانتهم للامة العربية وجنابتهم على الدين الاسلامي والصواب الذي يجب ان يعرفه الانكليز هو ان السواد الاعظم من المسلمين صاروا على الرأي الذي سمعته من حسنى افندي أحد مشايخ الاسلام المتأخرين في الاستانة وهو: ان كل ما تقول دول أوربة لنا انه مفيد لكم فهو ضار بنا ، وكل ما تقول لنا انه ضار بكم فهو نافع لنا ، فليرجع الساسة الانكليز عن هذه الوسائل السخيفة ، للتسكيل بالامم الضعيفة ، مع ادعاء القاصد الشريفة ، وليرجعوا عن مطامعهم التي لاحد لها فان ذلك خير لهم

أيها المسلمون : حسبكم ما بينا لكم من الدلائل في هذه المقالات وغيرها على مصاب الاسلام والعرب بهذا البيت الحجازي ووجوب تطهير الحجاز من جباياته على العرب والاسلام ، وقد سخر الله لحرمه من أنقذه بأهون الوسائل فماذا يجب عليكم الان ؟ خذوا رأي أخيك كاتب هذه المقالات الذي درس مسألة جزيرة العرب وأمرائها وسياسة الاجانب فيها بالعلم والعمل درسا طويلا عريضا عميقا في أكثر من ربع قرن وألخص ما يتعلق منه بموضوعنا في القضايا الآتية :

١ — ان أعظم جناية يجنيها مسلم على الاسلام والمسلمين والعرب السعي لاقرار سلطة علي بن حسين وابقائه ملكا على الحجاز فقد صنعت الآن الفرصة لأعظم إصلاح يمكن أن يقوم به المسلمون في مهد دينهم فاذا اضاءوا بنخشي أن لا تعود قد تولى اماره الحجاز كثيرون من هؤلاء الناس الذين يسمون شرفاء مكة في بضعة قرون فلم يخرج منهم مصلح في علم ولا عمل ولا دينة ولا سياسة ولا ادارة ، بل كانا أكثرهم مفسدين ظالمين ، وأقلهم غير نافعين ولا ضارين ، والدليل

على ذلك سوء حالة الحجاز في جميع هذه القرون، ورجوع بدوه الى ثمر مما كانوا عليه في الجاهلية، وكون حضره اسوأ حالا من جميع سكان المدن في البلاد الشرقية وقد كان شرهم وأطمعهم وأشدهم إلحادا وفسادا للدين والدنيا حسين بن علي الذي لم يبلغنا ان أحدا من الامراء أبغضه أهل ملته وذووه مثله . وهذا ولده قد سمي ملكا في أسوأ حال نصب فيها حاكم في أمة أو بلد ينهزم أمام الفاتحين من مكن الى مكن ويستغيث بجميع أهل المال والنحل من جميع الأمم لينقذوه من هؤلاء الفاتحين ، ثم هو يقر حكومة ولده الممقوتة برجالها كلهم ويبدأ أعماله السياسية بأمر وكيل والده في لندن بعقد تلك المعاهدة التي بين فسادها كتاب المسلمين في مشارق الارض ومغاربها

٢ - إنه لم يكن يوجد في الدنيا شعب اسلامي غير النجديين يمكنه انقاذ الحجاز من الخطر الذي كان محيطا به بعد احتلال الاجانب لفلسطين وسورية والعراق، واستيلائهم على سكة الحديد الحجازية من جانب العمران ، وقد كان هذا البلاء المبين بمساعدة هذا البيت الحجازي . وهانحن أولاء نسمع ونقرأ ما يهدد الانكليز به الحجاز من عدم السماح لقوة اسلامية تؤسس فيه لئلا نكون خطراً على ما صاروا يمدونه ملكا لهم من بلاد العرب التي يزعم حسين وأولاده أنهم أنقذوها (فلسطين وشرق الاردن والعراق)

ولا يخفى عليكم أن مقتضى القاعدة السياسية الانكليزية وجوب الاستيلاء التام على الحجاز واحتلاله بالقوة العسكرية ان لم تكن تحت الاشراف البريطاني لاجل لامن على المواصلات البريطانية بين فلسطين والعراق

٣ - اعلما أنه لا توجد حكومة اسلامية غير حكومة نجد تقدر الازعلى حفظ لامن في الحجاز ومنع التعدي على الحجاج ، ثم على اصلاح حال قبائل الاعراب فيه ومنعهم من الغزو لمجرد التعدي أو الكسب والنهب ، فيجب أن يعرض جميع العالم الاسلامي ، وسيرون صحة قلبي في هذا كما رأوه في غيره

ولاسيما الارجاف الاخير بالخوف على الكعبة المشرفة أن يهدمها الوهابيون أو يمزقوا استارها ، وأمثال هذه الاكاذيب التي كان بذيعها الانكليز ومروجو سياستهم الحجازية في مصر وسورية فقد دخلوا مكة كما دخلها أجدادهم في فجر القرن العشرين معتمرين فطافوا بالكعبة المعظمة وقبلوا الحجر وصلوا سنة الطواف ثم الفريضة وآمنوا جميع الأهالي من كل اعتداء فلم يعتدوا على احد ، وسيلغون جميع الضرائب والمغارم التي أرهق حسين بها الناس . ولما علم ذلك عاد الذين كانوا غاربين من مكة الى جدة من الطريق ولا بد أن يكون جميع الذين فروا الى جدة قبل ذلك قد نددوا بالتصديقهم الملك السابق والملك اللاحق بأن الوهابية سيمزقون أشلاءهم ، ويقتلون نساءهم ، ويقطعون أعضاء أطفالهم على مرأى منهم ، ثم ينهبون جميع ما يملكون . . .

٤ — انه لا يليق بالاسلام ، ولا ببيت الله الحرام ، أن يكون في مكة وهي البلد الامين ، والمعبد الاعظم للمسلمين ، ملك قاهر مستعل على الناس يقتل ويسجن ويعذب ويفرض الغرامات ويعادي جيرانه ويقاثلهم ، بل يجب أن يكون فيها حكومة يديرها مجلس شرعي منتخب من خيار علمائها وعلماء الشعوب الاسلامية الاخرى ويكون لهم رئيس يختارونه من أنفسهم في كل سنة ولا يكون لاي فرد من الافراد أن يستبد بأي أمر في حرم الله برأيه

٥ — يجب أن يكون الحجاز قطراً على الحياد لا يقاتل ولا يقاثل ولا يكون لاحد من الاجانب غير المسلمين نفوذ فيه ولا حق سكنى ولا ملك ولا حماية أحد من الحجاج ولا من غيرهم . ولا يوجد مسلم يعرف دينه برضى أن يكون بلد الله الامين تحت حماية حاكم غير مسلم أو يجعل نفسه ذريعة لتدخله في شؤونه ، واهاتته لحكومته الاسلامية . واذا كان قد عهد من أجهل المسلمين التابعين لدول غير اسلامية الصبر الجبل على ظلم أمراء مكة القبيح ولم يستحلوا أن يشكوا ذلك لحكوماتهم فكيف يكون شأنهم اذا صارت حكومة الحجاز

شرعية شورية لا استبداد فيها ولا مجال للاستبداد

٦ — يجب أن يكون الحجاز مهد العلم والصالح والاصلاح . وقد الفت في القاهرة جمعية اسلامية عامة للاسعي لما يجب من تأمينه وحياضه السلمي باعتراف جميع الدول ومن الاصلاح فيه اسمها (جمعية السلم العام في بلد لله الحرام) وستعلن الدعوة اليها

٧ — ان ما أشرنا اليه وتلمنا بفضه في المقالة الرابعة من أقوال سلطان نجد وبلاغي نجله وما لدينا من الاطلاع الخاص بسطينا اعتقادا جازما بأن السلطان عبد العزيز بن سعود يقبل بكل ارتياح أو يدعو الى عقد مؤتمر اسلامي في مكة المكرمة يؤلف من خواص مسلمي الشعب الاسلامية للبحث وتقريب النظام الذي أشرنا اليه ، كما أنه سيرسل وفدا من علماء نجد ليعرضوا على الخليفة الذي سيدقده في مصر ، فهل كان أحد من المسلمين يطمع في شيء من هذا قبل انقاذ هذا الرجل العظيم للحجاز من قبضة الطاغوت ؟

المقالة السادسة (*)

﴿ ماذا يفعل الوهابيون بالحجرة النبوية وقبة الحرم الشريف ﴾

كثير المثنون علما من قراء هذه المقالات من العلماء والفضلاء قولا وكتابة على ما بينا لهم من الحقائق ، مؤيدة بالدلائل والوثائق ، كما كثير طلاب (الهدية السنية ، والنخبة الوهابية النجدية) حتي صارت نطلب من الاقطار البعيدة ، ووزعت منها ألوف عديدة ، وكثير السائلون لنا عما يشبه عليهم من هذه الرسالة ومن أقوال الحرائد ، فأما من يلتقوننا منهم فائنا نجيب كل سائل بقدر ما يتسع الوقت ، وأما الذين يكتبون اليانا منهم فنمندر لهم ، بأننا لا نجد رقت فراغ من

(*) نشرت في الاهرام بتاريخ ٢٦ ربيع الأول ١٣٥٠ أكتوبر

أعمالها الضرورية تصرفه في الكتابة لهم وإن كنا نعتقد أن الكتابة مفيدة لمن أراد أن يستفيد

ومن الأسئلة الكتابية سؤال أرسل اليها من طريق جريدة الأهرام هو أجدرها بأن يجاب عنه ، وإن كان مرسله مستعجلاً لا يبرأ ، إذ هو يسأل عما يفعل الوهابيون بالحجرة النبوية إذا هم فنعوا مكة والمدينة ، ويقم عليهم الحجة إذا هم فعلوا ما زعم أنهم يريدون الله تعالى به وإذا هم لم يفعلوا على سواء . فأنا لا يعني أن أبحث في أمر المستقبل وما عسى أن يفعل الوهابية فيه ، ولا يعني أن يخطيء القوم في أمر فتوم به عليهم الحجة ، ربي فعلوا شيئاً يعلم الله كل وغير ذلك ، رغم أنني تشددت في الدين غير معزومين ، فذوق منهم خطأ فقد وقع ممن هم خير منهم ككل أصحاب الذين قتلوا جماعة أسلموا بأمر خالد بن الوليد (رض) لأنه لم يثق بإسلامهم فلما أخبر النبي (ص) بأمرهم قال « اللهم أبرأ اليك مما فعل خالد ، اللهم أبرأ اليك مما فعل خالد » رواه البخاري وغيره

والكني وجدت باعث دينياً دعاني الإجابة عن هذا السؤال الذي هو غير جدير بالإجابة عنه لذاته ، وهو أن أبين للعامة من الناس الذين لم يطلعوا على كتب السنة أصح ما ورد في هذا الباب ، مع فوائد أخرى تتعلق بما في السؤال من الاحتجاج ، اقتداء بما ورد في آخر كتاب العلم من صحيح البخاري في (باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله)

وهذا نص السؤال :

السلام عليكم ، وبعد : رأيك بأستذبح لو نتم للاخوان الوهابيين فتح مكة والمدينة ، أيهدمون قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، أعني يحطمون ما حوله من بناء وما فوقه من قباب ، إذ أنهم يريدون بتحريم ذلك ، ويعتقدون أنها بدع يجب استئصالها ؟

وهل لا يفضى العلم الاسلامي لمثل ما يأتون إذا حصل . . . ؟ وإذا

راعى الاخوان في ذلك شعور العالم الاسلامي وبمباشرة تلك الاعمال عند هذا
المقام ، فما معنى تلك الاسطر الكثيرة التي خطوها في هذا الباب ؟ أو هل كان
النص تنقطع سلسلة اتباعه هنا ، فهو مقصور على قبر غير النبي (ص) . . . ؟
عجل يا سيدي باجابتي وتقبل جميل احتراماتي

الخلاص

محمد ابراهيم خليل بيولاقي

جواب السؤال :

(١) الذي نطنه أن الوهابيين لا يهدمون الحجرة التي فيها القبر الشريف
ما قاله السائل من أنهم يدينون الله تعالى بتحريم ذلك البناء ويعتقدون أنها
وبدع يجب امتنعها — فيه نظر فإن البدع المخالفة لمريح السنة هي اتخاذ القبور
مساجد بأن يدفن الميت في المسجد أو يبني المسجد على القبر . . . كما يعلم مما يأتي . وقبر
النبي صلى الله عليه وسلم منفصل من المسجد في بناء وحده كان بيت زوجته عائشة
رضي الله عنها وعن أبيها فالذي يصلي في المسجد لا يعد مصليا الى القبر ، وإذا
كان بعض الناس يدخل الحجرة الشريفة فيصلي الى القبر يهول منه

وقد استولى القوم على الحرمين الشريفين في فجر القرن الثالث عشر الهجري
(الموافق لاول القرن التاسع عشر الميلادي) ولم يهدموا الحجرة الشريفة ، ولكن
روى بعض المؤرخين أنهم ازالوا من فوق قبة الحرم النبوي الشريف ما كان من
شكل الهلال والكرة المذهبين ، وأنه كان من مرادهم هدم القبة ولكن سقط اثنان
من الفعلة الذين سعدوها لازالة الكرة والهلال المذهبين فماتوا من هدم القبة
لذلك ، والمعلوم قطعا أنهم لم يهدموا نية الحرم ولم يحدثوا ابتداء ولا تغيير في
القبر الشريف ، وربما كان نزع الكرة والهلال لاعتقادهم أنهما من الذهب فأرأوا
أن الانتفاع بهما في خدمة الدين التي يعتقدون القيام بها أولى من رضاهما فوق
القبة . على أن هذا الزخرف في بناء المساجد ليس من الدين في شيء بل هو
من البدع التي تفاخر بها الملوك فأنكرها عليهم بعض العلماء وسكت عنها بعضهم

خوفا منهم، أو لانهم عدوا الكثير منها من البدع الدنيوية التي لا تمس العقائد ولا العبادات . ثم ابتدع هؤلاء الملوك بناء المساجد على قبورهم فكانوا يوصون بذلك فينفذه أخلافهم . وهو محرم بالنصوص الصحيحة نصريحة فأكره قبل من العلماء الربانيين ، وسكت عنه الآخرون خوفا من شرهم ، أو طمعا في برهم ، كما يعلم من الشواهد التي نزيد على جواب السائل الفاضل

(٢) ان العالم الاسلامي يفضب أشد الغضب ان هدموا القبة الخضراء أو شيئا من جدران الحجرة الشريفة لأن هذه المظاهر الفخمة والزخارف الجميلة تعد في عرف جميع العوام وكثير ممن يسمون لخواص من قبيل شعائر الاسلام ، والمشرع الحرام ، بل هي عندهم أفضل من الركن والمقام ، وأهم من الصلاة والصيام ، ومنهم من يذهب الى الحجاز لاجل الزيارة ولا ينخسع للرؤية هذه المباني الفخمة . فاذا كان في ازالة شيء منها مصلحة من بعض الوجوه كالرجوع في الامور الدينية وما يتعلق بها الى مثل ما كانت عليه في عصر السلف والتميز بين ما هو مطلوب شرعا وما هو محذور أو غير مطلوب — فإن فيه مفسدة أكبر والحق في أكثر البلاد الاسلامية على ما ذكرنا حتى صبح فيها ما تنوء به خطباء المنابر من تحول المعروف منكرا والمنكر معروفا . ودور المفسد مقام على جانب المصالح بشرطه المعروف عند العلماء

(٣) اذا راعى الاخوان شعور العالم الاسلامي في ترك بعض المنكرات المتفق على حظرها على حالها دوما للمفسدة ، واتقاء لتفجير الكثيرين عن الاملاح المقصود من انقاذ البلاد المقدسة ، يكون عملهم هذا موافقا للشرع ، وقد علمنا مما دار في مؤتمر الشورى في عاصمة نجد أن العلماء أفتوا السلطان بجواز تأخير أداء فريضة الحج في الموسم الاخير اذا كان يترتب على أدائه مفسدة راجعة ، ووجود الحجرة النبوية نفسها ليس من المنكرات بل من المعروف المتواتر خبره في كتب السنة كالمسجد النبوي وإنما تغير شكل البناء ، وأمره هين لا يذكر مع تركهم

الحجج خوفا من المفسدة

ومن دلائل السلة في هذه المراجعة بهذا القصد ما ثبت في الصحيحين ، غيرهما من حديث عائشة (ر . ض) أن النبي (ص) كان كارها لما عليه بناء قريش للكعبة منتصرة من جهة شمال عرقه بوجهه إبراهيم وجعل لها بابين لامينين بالادخار من جعل بابها مرتفعا ليدخلوا من شؤ ويمنعوا من شؤ ، وأنه كان (ص) يود لو نقضها فأعاد بناءها على أساس إبراهيم وجعل لها بابين لامينين بالادخار ليدخل كل من أراد من باب ويخرج من الآخر . وما منعه من ذلك لا حداثة عهدهم بالكفر والحاشية كما صرح به الحديث والحديث في ذلك مكرر في الصحيحين وغيرهما ، فإذا كان المصنف (ص) خاف أن تذكر قلوب حديثي العهد بالشرك من المؤمنين هدمه للكعبة وباءها على أنهم وأفصل مما بناها عليه لمشركون فمراجعة الاخوان مثل ذلك يعد عملا شرعيا

الزيادة على الجواب

إذا أراد السائل وأمثلة نصا عن لائحة المجتهدين في هذه المباني النخبة والزينة في الحرم النبوي الشريف فليراجع ما قاله العلامة الشاطبي في كتابه الاعتصام في بحث الشروط التي تشترط لبدع البدع من المعاصي الصفات كباثر حتى إذا ما بلغ الشرط الثالث وهو « أن لا تغز البدعة في المواضع التي هي مجتمعات الناس والمواضع التي تقام فيها السنن وتظهر فيها أعلام الشريعة » يجد من الدلائل على هذا الشرط ما نصه :

« قال أبو مصعب قدم علينا ابن مهدي فصرى ووضع رداءه بين يدي الصف فلما سلم الامام ربه الداس بابصاره ورمته واما لكا (هو الامام مالك بن أنس) وكان قد صلى خلف الامام فلما سلم : قل من دعا من الحرم ؟ فجاءه نفسان فقال هذا صاحب هذا الثوب فامسأه . فحبس ، فقيل له انه بن مهدي (أي قيل للمالك ان هذا الذي حبس هو عبدالرحمن بن مهدي الامام المشهور وهو من

أقران مالك في الحديث (فرجه اليه وقال له : ما حفت الله راتقيته) أن وضعت
 ثوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين ، انظر اليه وأحدثت في مسجدنا
 شيئاً ما كنا نعرفه ؟ وقد قال النبي (ص) « من أحدث في مسجدنا حدثاً فعليه
 لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه أن لا يفعل
 ذلك في مسجد النبي (ص) ولا في غيره . وفي رواية أن عبد الرحمن بن مهدي اعتذر
 بأنه ثقل عليه رداؤه من شدة الحر فضعه ولم يقصد مخالفة من مضى . أي في عدم
 إبداء شيء جديد في مسجده (ص)

فإذا كان امام دار الهجرة يرى أن من مخالفة الحديث الشر يف الذي رواه
 هو ومن بعده من أصحاب الصحاح والسنن أن يضم المصلي رداءه أمامه لأن هذا
 لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم ، وكل ما لم يكن في عهده يصدق عليه أنه إحداث
 وابتداع فيه يستحق صاحبه تلك اللغة الشاملة المحيطة في القول عند ذي باثر الأحداث ؟
 والامام مالك ، وفق على جلالته واجتهاده ويلقبه بعض المحدثين حتى من
 غير المالكية بالامام الاعظم ، ولكنه لو خرج ليوم من قبره ، واراد أن يجعل المسجد
 النبوي كما كان في عصره ، لرجمه جماهير المسلمين بالحجارة وفي مقدمتهم أتباع
 مذهبه من المغاربة والسودانيين والمصريين

نكتفي بهذا القدر من الزيادة الآن وسنذكر في المقال المتعم لهذه الفتوى
 بعض الاحاديث المحتج بها في أحكام القبور والمساجد واقوال بعض كبار الفقهاء من
 غير الحنابلة لأن هذه فرصة تذهبت فيها الاذهان للتمييز بين السنن والبدع

﴿ المقالة السابعة ﴾

القبور ومساجدها وقبابها

قد عم الجهل بالاسلام حتى صار لوف الالوف من المسلمين - جنسية لا هداية -

١٠ نشرت جريدة الاهرام بتاريخ ٢٩ في ربيع الاول و ٢٨ اكتوبر

يعدون بعض الحق من عقائده وآدابه وأحكامه باطلا، والباطل من البدع لمحدثه فيه حقا، وسبب هذا اهمال التعاليم الدينية والارشاد الاسلامي، وترك فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فانقلب الامر وانعكس الوضع، فصار الكثيرون يعدون كثيرا من المعروف منكرا ومن المنكر معروفا حتى في الامور المتعلقة بصحة الايمان

ولما فشت البدع ورسخت صارت ألوفة وعز على المشتغلين بالعلم أن يطبقوا على أصحابها أحكام الشرع في أحكام الردة والخروج من الاسلام وأحكام رد الشهادة ثم صار بعضهم يقول لهم ولو بالتمحل البعيد عن النقل والعقل

لهذا اضطرب الناس في الاصلاح والتجديد الذين قام به الشيخ محمد عبد الوهاب الحنبلي السلفي في نجد وأولاده وأحفاده وتلاميذهم بتأييد أمراء نجد سعود وآل سعود لأنهم أقاموا أحكام الاسلام بالعلم والعمل والتأييد بالحكم النافذ — فرأى أمراء الحجاز المفسدون مجالا واسعا لآتهمهم بتكفير المسلمين واستباحة دماهم — ووافقهم الدولة العثمانية يومئذ على ذلك لآماتة ذلك الاصلاح لتلايفضي الى تأسيس دولة عربية قوية في بلاد العرب، مع أن الدولة كانت تعد فرق الباطنية كالنصيرية والاسماعيلية والدروز مسلمين اذ كانت أبعاد الحكومات الاسلامية عن التكفير وعن مقاومة البدع، الا ان يكون لاجل السياسة كقتالها للبرانيين، وكل من هذا وذاك دوران مع السياسة يدل عليه أن الشعب التركي يثني على الوهابيين اليوم وتتمنى جرائده لهم الفوز بالاسنيلاء على الحجاز لان الحجاز قد خرج من دائرة دولتهم وكان المتغلب عليه عدوا لهم

أشهر ما اشتهر من اصلاح الوهابيين الذي سماه الجاهلون بدعة أو مذهبا جديدا أو دينا محدثا منع البدع والمعاصي المتعلقة بقبور الانبياء والاولياء وأهل البيت . وانا انشر للجمهور الآن بعض ما ورد في ذلك من الاحاديث النبوية وأقوال بعض الفقهاء المشهورين من المجتهدين والمنتمين الى المذاهب المشهورة

يزوا به الحاق من الباطل والهدى من الضلال
جاء في كتاب الزواجر للفقهاء المشهور احمد بن حنبل المصنف الشافعي المولود
بمصر سنة ٩٠٩ والمتوفى بمكة سنة ٩٧٣ - ما نصه :

(الكبيرة ٩٣-٩٨)

(اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها
واستسلامها والصلاة اليها)

أخرج الطبراني بسند لا بأس به عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال :
عهدي بنبيكم قبل وفاته بخمسين ليلة فسمعته يقول « انه لم يكن نبي الا واخليل
من أمته وان خليلي أبو بكر بن أبي قحافة ، وان اذن اتخذ صاحبكم خليلا ، ألا
وان الائم قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد واني أنهاركم عن ذلك ، اللهم
اني بلغت » ثلاث مرات ، ثم قال « اللهم أشهد » ثلاث مرات الحديث . والطبراني
« لا تصلوا الى قبر ولا تصلوا على قبر » (١) واحمد وأبو داود والترمذي والنسائي
وابن ماجه وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما « لعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ومسلم « ألا
وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد فاني أنهاركم عن ذلك »
واحمد « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون
القبور مساجد » واحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم « الارض كلها
مسجد الا المقبرة والحمام » والشيخان وأبو داود « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد » واحمد عن أسامة والشيخان والنسائي عن عائشة وابن
عباس ومسلم عن أبي هريرة بمعناه (٢) واحمد والشيخان والنسائي « أولئك اذا

(١) كل ما وضع بين هذه الالامة » فهو حديث نبوي شريف

(٢) وفيه زيادة « والنصارى » وفي الحديث بعده وكان ذكره (ص) كنيسة

في الحبشة فيها صور الخ

كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وابن حبان عن أنس « نهى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة إلى القبور » وأحمد والطبراني « إن من شرار الناس من تتركهم الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد » وابن سعد « إلا أن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » عبد الرزاق « إن من شرار الناس من يتخذ القبور مساجد » وأيضاً « كانت بنو إسرائيل اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فلعنهم الله تعالى ثم قال المصنف بعد سرد هذه الأحاديث :

﴿ تنبيه ﴾ بعد هذه الستة من الذكائر رقى في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجداً منها واضح لأنه لعن من فعل ذلك بقبور أنبيائه يجعل من فعل ذلك بقبور صلاحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة ، ففيه تحذير لنا كما في رواية : « يحذر ما صنعوا » (١) أي يحذر أمنه بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أوثانك فيلعنوا كما لعنوا . واتخاذ القبر مسجداً معناه الصلاة عليه أو إليه وحينئذ فقوله « والصلاة إليها » مكرر ، إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط (٢) .

« نعم إنما يتجه هذا الأخذ إن كان القبر قبر معظم من نبي أو ولي كما أشارت إليه رواية » إذا كان فيهم الرجل الصالح « ومن ثم قل أصعبنا : تحريم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركوا أعظاماً فاشترطوا شيئين : أن يكون قبر معظم وأن يقصد بالصلاة إليه ومثلها الصلاة عليه التبرك والأعظام . وكوز هذا الفعل كبيرة ظاهر من

(١) هذه الجملة من كلام عائشة قالتها بعد رواية لعنه (ص) لمن اتخذوا القبور مساجد تعليلاً للمعنى « ٢ » المتبادر بقريظة ما فعل أهل الكتاب إن منه بناء المساجد عليها وجعلها منسوبة إليها كما وضحه (ص) بقوله « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح » الخ

الإحاديث المذكورة لما علمت ، وكأنه قاص على ذلك كل تعظيم للقبر كإتمام السرج عليه تمطي له وتبرك به - والطواف به كذلك - وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرح في الحديث المذكور آنفاً بأن من اتخذ على القبر سرجاً فيحمل قول أصحابنا بكرامة ذلك على ما إذا لم يقصد به تعظيماً وتبركاً الذي القبر

« وأما اتخاذها أو ثنائها فجاء النهي عنه بقوله (ص) « لا تتخذوا قبوري وثناً يعبد بعدي » أي لا تعظموه وتعظيم غيركم لا وثائهم بالصلاة أو نحوه (٢) فإن أراد ذلك الإمام بقوله : واتخاذها أو ثنائها — هذا المعنى أجه — فله من أن ذمك كبيرة بل كفر بشرط ، وإن أراد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بعد . نعم قال بعض الحنابلة قصد الصلاة عند القبر تبركاً به من المبادأة ورصولة وإبداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم أجماعاً فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجداً أو بناوذاً عليها والقول بالكرامة محمول على غير ذلك إذ لا يظن بالعلماء تحوير فعل توازن عن النبي صلى الله عليه وسلم لمن فاعله « ونجيب المبادرة عندها وهدم القباب التي على القبور ذهي أضر من مسجد الضرار لأنها أسست على معصية الرسول (ص) لأنه نهى عن ذلك وأمر (ص) بهدم القبور المشرفة . وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى (راجع صفحة ١٦١ — ١٦٣ من الزواجر المطبوع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣)

وقد أشار بقوله إن النبي (ص) أمر بهدم القبور المشرفة إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه وغيره عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أن لا تدع تمثلاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته . قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث : قال الشافعي في الام : ورأيت الائمة بمكة يأمرؤن بهدم ما يبني . ويؤيد الهدم « ١ » أي كالطواف به كما صرح به المؤلف آنفاً ومثله التمسح به أو بتفضله لتبرك أو الاستشفاء

قوله « ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » اهـ

فهل كان ابن حجر والنووي قبله والامام الشافعي قبلهما من الوهابية ؟
وهل كان ثمة المسلمين بمكة في عصر الشافعي أعلم واعدي أم حسين طاعوت
الحجاز في عصرنا الذي أنظر الحافقين برقيات في الطين على الوهابية بهدم قبر
ابن عباس (رضي الله عنهما)

ان أمر النبي (ص) لملي كرم الله وجهه حين أرسله الى اليمن بطمس التماثيل
وهدم القبور المشرفة وتسويتها بالأرض - ثم أمر علي عامله أبا الهياج الاسدي
بذلك وعمل أئمة المسلمين بذلك في خير القرون من لسد ذريعة تعظيم القبور
تعظيماً دينياً اذ هو من أعمال الشرك ، فهل ننكر هدمها وهدم القباب والمساجد
التي عليها بعد ما وقع المحذور ، وارتكب المحظور ؟

حدثني الشريف محمد شرف عدنان باشا حفيد الشريف عبد المطالب الذي
كان أعقل رجل في شرق مكة أنه رأى رجلاً في مسجد ابن عباس بالطائف
يصلي مستقبلاً القبر مستدبراً القبلة فظن أنه أعمى قد أخطأ القبلة فأخبره بذلك
وجاء ليحوله الى القبلة فراه بصير العينين وأبى أن يتحول معه فعلم أنه متعمد
فقال لبعض الخدم : أخرجوا هذا المشرك من المسجد

فلا مر المشاهد الذي لا شك فيه أن هذه القبور المعظمة تعظيماً دينياً لم يأذن
به الله قد كانت سبباً لمنكرات كثيرة أخرى منها هو شرك صريح لا يحتمل
التأويل ومنها ما يحتمله احتمالاً قريباً أو بعيداً ، ولكن لا يجوز أن يجعل الاحتمال
مسوغاً للسكوت عنه وإقرار أهله عليه وإنما قد يجوز ذلك في درء الكفر عن
شخص معين - ومنها ما هو معصية كبيرة ومنها ما هو صغيرة وكلاهما كثير جداً
لا خلاف بين المسلمين فيه ولا في أن استحلال الجمع عليه المعلوم من الدين
بالضرورة كفر وخروج من الملة . وقد فصل العلماء الناصحون ذلك في كتب كثيرة
أشهر المطبوع منها كتاب المدخل للعلامة ابن الحاج المالكي القاسمي المتوفي في

مصر سنة ٧٣٧ ومما ذكره أن العلماء أفتوا بهدم بانيان البيوت التي على القبور (الاحواش) كما في الصفحة ٢٧٤ من الجزء الاول وفصل المفاسد الموجبة لذلك وقال الامام الشوكاني المجتهد في شرح حديث أبي الهياج الاسدي من كتابه (نيل الاوطار) ما نصه : « من رفع القبور لدخل تحت الحديث دخولا أو ليا القبر والمشاهد المعمورة على القبور وأيضا هو من اتخاذ القبور مساجد وقد لعن النبي (ص) فاعل ذلك كما سبأتي . وكما قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفسد يبكي لها الاسلام (منها) اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للاصنام ، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ورفع الضرر ، فجعلوها مقصدا لطب قضاء الحوائج ، وملجأ لنجح المطالب ، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم ، وشدوا اليها الرحال ، وتمسحوا بها واستغاثوا . وبالجملة فانهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالاصنام لا فعلوه ، قال الله وانا اليه راجعون » ومع هذا النكر الشنيع والكفر الفظي لا نجد من بغضب الله ويغار حمية المسلمين الحنيف لا عالما ولا متعلما ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا . وقد توارد اليان الاخبار ما لا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم اذا توجهت عليه يمين من قبل خصمه حلف بالله فاجرا فاذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتدك الولي الفلاني تلامذتهم وتلكأ وأبى واعترف بالحق وهذا من أبين الادلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال أنه تعالى ثاني اثنين وثالث ثلاثة «فيا علماء الدين ، ويا ملوك المسلمين ، أي رزء للاسلام أشد من الكفر ؟ وأي بلاء لهذا الدين أضرم عليه من عبادة غير الله تعالى ؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأي منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك البين واجبا ؟ اه المراد منه (ص ٢٣٤ ج ٣ من نيل الاوطار المطبوع بالمطبعة الاميرية بمصر)

والامام الشوكاني هذا رسالة خاصة في هذا الموضوع نشرت في المجلد الثاني

والعشرين من المنار ، وللعلمة المحدث محمد بن اسماعيل الوزير رسالة في معناها اسمها (تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد) نشرت في المجلد الثالث والعشرين منه — وقد طبعنا على حدة — وقد ذكر الأخير شبهة بعض الناس في قبة المسجد النبوي الشريف بعد أن بين أن مبتدعي بناء القباب والمساجد على القبور هم ملوك الاعاجم الجاهلون فقال :

« فان قلت : هذا قبر رسول الله (ص) قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها الاموال (قلت) هذا جهل عظيم بحقيقة الحال ، فان هذه القبة ليس بناؤها منه (ص) ولا من أصحابه ولا من تابعيهم وتبع التابعين ، ولا من علماء أمته وأئمة ملته ، بل هذه القبة من ابنية بعض ملوك مصر المأخرين وهو قلاوون الصالحى المعروف بالملك المنصور في سنة ٦٧٨ ذكره في (تحقيق النعمرة ، بتأليف معالم دار الهجرة) فهذه أمور دوائية لا دلالية يتبع فيها الآخر الاول » هـ
فقد علم القراء بهذا النقول أن الوهابية لم يبتدعوا في هذا الار بل اتبعوا الادلة وأقوال الائمة من المحدثين والفقهاء المتممين الى المذاهب المشهورة الحنبلي فقط بعد ترك الجماهير لها لا مذهبهم (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)
واننا ندعو بالخير لمن سأل فيمكن سبب هذا البيان ، وقد بلغنا ما علمنا به أننا أخطأنا في فهمنا أنه أراد به الاحتجاج ، والنية حسنة والله الحمد في كل حال.

الوهابيون والحجاز

عود على بدء

المقالة الاولى (*)

مقدمة

كنا كتبنا بضع مقالات في هذه المسألة في أول العهد بزحف الاخوان لانقاذ الحجاز من إرهاب الطاغوت حسين بن علي وما يرجي أن يتبع ذلك من انقاذ جزيرة العرب كلها من الاستعباد الاجنبي — فكان لها من التأثير فوق ما قدرناه لها حتى إن حقها دحض أباطيل الدعاية الحجازية القديمة في الطعن بدين أهل نجد منذ قرن وثلاث قرن باختلاق الشريف غالب أمير مكة في عهد ظهور الاصلاح الذي قام به الشيخ محمد عبد الوهاب ، وأخر من السنة للدعاية الجديدة التي اخلقها الشريف حسين الذي ادعى انه ملك العرب وخليفة المسلمين

نم عرضت انا شواغل كثيرة عاقتنا عن مواصلة الكتابة فيما فتح امامنا من أبواب المسائل الكثيرة في هذا الموضوع فنشطت في هذه الفترة للدعاية وبذل في سبيلها المال بسخاء فوق المعتاد ، وتجرات حكومة الشريف علي بن حسين المحصورة في ميناء جدة ودعائها على ضروب من الكذب والبهتان لم يتجرأ على مثلها حسين بن علي ودعائه ، حتى انهم افتروا على كاتب هذا المقال وهو أول من هنك أستارهم ، وتتبع عوارهم ، وقلم أظفارهم ، فزعموا أن حكومة جدة عثرت على كتاب منا أرسلناه الى السلطان عبد العزيز بن السعود آذناه فيه بانصراف القلوب عنه وتصويب سهام الانكار اليه ، وقد طال العهد على هذه الفرية ولم

نجد فرصة نكذبها فيها ونفضحهم بمطالبتهم بنشر صورة هذا الكتاب مأخوذة عن خطا ، وكثير إلحاح المطالبين لنا بالعودة الى الكتابة لرد أمثال هذه المفتربات ، وكشف ما يحوم حولها من الشبهات . لان بعض التلصصين اغتروا بها ، وصدقوا أن علي بن حسين الف ملكا جديدا في الحجاز ، يخالفنا اوالده في سياسته ، وان في جدة حزبا وطنيا مؤلفا من زعماء الحجاز وأهل الرأي فيه وأنه هو الذي خلع حسيننا ونصب عليا ، وأنه يتكلم باسم بدو الحجاز وحضره ، وان سلطان نجد ضعيف لا جند عنده ولا سلاح ، ون ما أعده ملك جدة من آلات القتال والجنمية المصرية كاف لندوينه وسحق جيشه الضعيف وطرده من الحجاز والاستيلاء على نجد كلها ، وان انقاذ الحجاز من هذه الاسرة الطاغية الباغية صار ممعدرا ، فاهون الشرس إذا إصلاح ذات البين ببقاء علي بن حسين ملكا للحجاز بشروط منها ان لا يعود والده حسين بن علي الى الحجاز . الى هذا الحد وصل تأثير أمثال هذه الدعاوى الكاذبة التي سذبن الحق فيها

كما نقرأ تلك المفتربات في جريدة المقطم وبعض جرائد سورية فنضحك منها ضحك السخرية متربصين بها تكذيب السيف لها وهو أصدق من اللسان والقلم ، ولا يتأري في قوله ولا في حكمه أحد ، على أننا جمعنا بعض الدلائل للرد عاها ولكن قضى الله تعالى أن نضطر الى استئناف الكتابة في وقت لا نملك فيه مراجعة شيء مما جمعنا ، وهو وقت نقل كتبنا وأوراقنا ومطبعتنا ومطبوعاتها الكثيرة وأثننا من دار الى دار . وقد بدأنا في الاستعداد لهذا في الشهر الماضي وسيدغلنا شهرا أو شهرين آخرين لاننا لا نجد من يقوم مقامنا في الاشراف على ذلك ، ولكننا سنجد ما نحتاج اليه من الاوراق المحفوظة في أقرب وقت

بعد هذا التمهيد أقول إن حسين بن علي وأولاده كانوا قد خدعوا السواد الأعظم من عرب سورية والعراق وكثيرا من غيبرهم بما بشوه من دعاية المملكة العربية والوحدة العربية والخلافة العربية حتي خيلوا اليهم أنهم سيعيدون الى هذه

الامة عصر (هارون الرشيد) ثم ظهر أن غاية سعيهم تحقيق أمنية الانكليز القديمة وهي ادخال جزيرة العرب وما اتصل بها من بلاد في دائرة الامبراطورية البريطانية المرنّة على أن تسودهم فيها على قومهم وتسميتهم ملوكا وخلفاء، ومع هذا الخزي يرون كثيرا من وجهاء البلاد العربية يعظمهم ويقول بزعامتهم إما لغباوتهم وجهلهم وإما لأنهم يرضون مثلهم « أن تكون الامة العربية كالعصر في حجر الدبابة البريطانية » كما صرح به حسين بن علي رسميا في (مقررات نهضته) التي هي أصول سياسته وسياسة أولاده — دع الذين هو الوهم للانتفاع منهم لهذا أصبح أهل هذا البيت الحجازي يمتدنون ان الدعاية تؤسس الممالك وتوطد دعائم الملك ، وتهزم الجيوش ، وتفعل كل شيء ، فكان اعتمادهم عليها وعلى الدولة البريطانية في حماية الحجاز وعرش ملك العرب وخلافة الاسلام فعادوا جميع امراء جزيرة العرب المستقلين المسلحين ولا سببا جارهم بالجانب سلطان نجد وهو اقواهم واشدهم بأسا، ولم يستعدوا لحماية عرشهم منه ولا من غيره بالسلاح، فاهملوا ما تركه الترك أو العثمانيون من الاسلحة الكثيرة الجيدة من كل نوع واكتفى حسين بتأليف جنود صغير يقصد به اظهار عظمة الملك في الاحتفالات والموااسم ، واتكل على الدولة البريطانية والدعاية السياسية ، فلما ضاق العالم الاسلامي عامة وعرب نجد خاصة بفساده في الحجاز، وزحف جنود الاخوان الوهابيين لطرده وطرده أولاده منه ، استغاث لدولة البريطانية فلم تر من مصلحتها اغضاب العالم الاسلامي الساخط عليه ، والاصطلاء بنار حرب جديدة في جزيرة العرب لاجله ، فاعانت الحياد، فلم يبق له الا قوة الدعاية الخاطئة الكاذبة فشرع فيها فلم تغن عنه شيئا، واضطر الى الخروج من الحجاز مذثوما مدحورا، وخلف فيها ولي عهده الذي يفخر به ويقول « لا فتى الا علي » فكان ابرع منه في هذه الدعاية ، على أن والده هو الذي ربي له رجالها ، واصطنع له صحفها ، وهو الذي يفيض عليه المال للانفاق في سبيلها ، ويذكر انواع هذه

الدعاية الجديدة مع بيان بطلانها في مقل آخر ونعجل بالنوع الوحيد الذي فيه شبهة من الحق ، وشبهه من الصدق ، ولكنه حق اريد به باطل ، وصدق اتخذ ذريعة الى الكذب والتضليل ، وهو :

الاتفاق النجدي البريطاني

سمعت خبر هذا الاتفاق أو المعاهدة من الملاك فيصل في الشام أول مرة وهو الذي نشرها في بغداد في هذه المرة وأرسلت اليها والى الجرائد الشهيرة وقد صدقها الناس لان سلطان نجد لم يكذبها والغرض من نشرها ايهام العالم الاسلامي الذي يؤيد ابن سعود في طرد حسين وأهل بيته من الحجاز - أن مملكة نجد نفسها غير مستقلة استقلالاً مطلقاً بل قيدت الحكومة البريطانية سلطتها بما هو حماية ، وان الحجاز هو المستقل ، وانه اذا استولى عليه سلطان نجد يدخل تحت حماية الانجليز كنجدة ، وقد اطالت الدعاية الحجازية في المسألة واكثرت من الايهام ، وتناقضت سائر الجرائد نص الاتفاق ، كما أرسل من العراق ، وتآلم منه المسلمون ، فوجب أن نبين ما عندنا من رأي ورواية فيه على تقدير صحة نص :

كان هم عبد العزيز ابن السعود بعد استرداد ما كان قد سلب من بلاد آبائه وأجداده محصوراً في حفظ استقلالها بقوتها وبث دعوة الدين فيما جاررها من قبائل العرب ، والقناعة بميشه العزلة والتجافي عن السياسة لدولية وأهلها ، ولم يكن له خصم في تلك البلاد الا آل الرشيد في شمر فهم الذين ألجوا على آل السعود الدولة العثمانية حتى استولوا بمساعدتها على عاصمتهم (الرياض) وقضوا على امارتهم ، فلما انزعها منهم السلطان عبد العزيز هذا بحزمه وعزمه رأى انه سيكون معه في نزاع دائم وقاتل مستمر ، وان قطرا صغيرا كنجدة لا يصح أن يكون فيه امارتان تتوارثان الاحقاد والاضغان وتنتهز كل منهما الفرصة للقضاء على الاخرى ، فدعا ابن الرشيد للاتفاق وتوحيد العالم (الراية) والحكم والتعاون على حكم البلاد بصفة معقولة - كما نقل اليها - فامتنع ، فلم يردا من ازالة امارته ففعل ،

وقد اخذ حصر منطقته حتى افتحامها بالمناجزة وكان ذلك في أيام عمر وغلاء
فاحش وكانت مؤنة الجيش كلها بل مؤنة عامة بلاد نجد تأتيها من الهند فكان
هذا سببا ملجئا لابن السعود الى الاتفاق مع الحكومة الانكليزية كما قال بعض
أهل العلم والخبرة بالبلاد العربية

وهناك سبب آخر لا يقل عنه إلجاء الى ما دعي اليه من الاتفاق بما رآه
أهرون الشريف ، وهو أن الدولة العثمانية رأت بعد عقد الصلح مع الامام يحيى انها
كانت مخطئة في معاداة حكومة نجد كما كانت مخطئة في معاداة أئمة اليمن وأن
الاتفاق ممكن وهو خير للدولة فعقدت مع امام نجد وهو عبد العزيز ابن السعود
اتفاقا آخر اعترفت له فيه بالاستقلال الوراثي في بلاد نجد كلها حتى ما كان بيد
الدولة منها كالحسا ونغور البلاد بشروط ليس هذا محل بيانها فلما وقعت الحرب
العامة واصططت للدولة العثمانية سميرها خاف ابن السعود أن تحزل الدولة البريطانية
نغور بلاد نجد وأقليم الاحساء إذ كانت تعدها من أملاك الدولة العثمانية ، فرضي
بان يعقد معها إتفقا تعترف له فيه أن هذه البلاد بلاده وأنه مستقل فيها ، وأن
يرضى منه في مقابلة ذلك بامور سلبية كان يرى أنه لا يفقد بها شيئا

وجملة القول أن هذا الاتفاق قد عقد عقب ائذان دول الحلفاء الدولة العثمانية
بالحرب ، وكانت الدولة البريطانية قد دعت ابن السعود أمير نجد الى قتال الدولة كما دعت
امير مكة حسين بن علي وأمام اليمن والسيد الادريسي أمير نهامة وعسير ، وقد
قلنا في المنار مرارا أنه لم يوالها أحد منهم موالاة فعلية حربية الا امير مكة ، وان
امام اليمن والى الدولة عليها واعانها على قتالها ، وأما الادريسي وابن السعود
فقد اتفقا معها اتفقا سلبيا ، ولم تكن قد اطلعنا على هذا الاتفاق ولكن اخبرنا
طالب بك المقيب أنه كان رسول الدولة البريطانية الى أمير نجد وأن هذا الامير
أبي أن يحارب دولة اسلامية انتصارا للدولة غير مسلمة وأنه لم يكن يمكنه ان
يحارب الانكليز انتصارا للدولة العثمانية لانهم يمكنهم أن يقضوا على بلاده بالحصر

البحري فان عامة اقوات أهل نجد من الهند ، فكانت المصلحة التي لا بد منها أن يكون على الحياد

نعم إننا نحن نظن الآن أنه كان في الامكان أن ينال صاحب نجد ما لا غنى له عنه من تموين بلاده والاعتراف باستقلاله فيها بدون ان يقيد نفسه بما ذكر في هذه المعاهدة من القيود المنافية للاستقلال التام المطلق وان كانت قيودا ملجيه ، وانه لا سبب لقبوله هذه القيود الا عدم تمرسه بالسياسة الدولية وعدم رقبته على ما كان لدي أعداء الانكليز من القوات الحربية التي ترتعد منها افرائص دول اوربة كلها — ولا كمننا لا نجزم باننا لو كنا في مكانه في ذلك الوقت لكاننا نعتقد هذا الاعتقاد نفسه ونتجرأ على رفض تلك المواد التي ننكرها بعد ما علمنا من قوات الالمان وأحلافهم ما لم يكن نعلمه في أول الحرب — ولا بأن الانكليز كانوا يرضون منه دون هذه الشروط ليكتفوا شر مساعدته للدولة العثمانية

هذا ما عندنا من أسباب هذه المعاهدة وانما نتكلم في المقالة الآتية على كل مادة من موادها التي نشرها الحجازيون نتكلم عليها من الجهة العامة ثم نبين ان سلطان نجد قد نقضها منذ عزم على الخروج من عزلته السياسية والاجتماعية وتصدى لزعامه النهضة العربية، وثبت عنده ما يجب عليه شرعاً من انقاذ الحرمين الشريفين من الظلم والاحاد ومنع النفوذ الاجنبي ان يتغلغل فيهما وفي سياجتهما من جزيرة العرب، فمعاهدة سنة ١٩١٥ امست قصاصة ورق لا قيمة لها كما نبين ذلك فيما يأتي

المقالة الثانية *)

تفصيل القول في المعاهدة

بيننا حقيقة الحال التي كان عليها صاحب نجد عند عقد المعاهدة التي نشرها في هذه الايام الملك فيصل ليثبت بها انه قد سبقه وسبق أباه وأخاه عبد الله في نشرها في عدد الاهرام الذي صدر في ٢٤ رجب (١٨ فبراير)

جعل بلاده تحت حماية الانكليز ، وقام انصارهم يقولون في دعايتهم لهم انهم اذا لم يكونوا خيرا منه في هذا فهم مثله فواجه تفضيله عليهم ؟ ولماذا ينتصر له العالم الاسلامي ويود جعل الحجاز تبعا له بن دونهم ؟ فعلم بذلك بعض الفرق الجلي بين عملهم في اضاءة اكثر البلاد العربية وعمله في وقاية ملكه من السقوط بغزو الانكليز له من الخارج وغزو ابن الرشيد له من الداخل في مقابلة الاعتراف لهم بأمور سلبية يذهب بأثرها الزمان — وسنبين هذا الفرق من سائر وجوهه بعد انجاز ما وعدنا به من بيان مضمون مواد هذه المعاهدة ، ومن الكلام عليها من الجهة العامة ، فيعلم من لم يدرس هذه المسائل ان هذا البيت الحجازي لم يعتبر بشئ من التجارب والرزايا التي نزلت بالامة التي تصدى ازعامتها والتي نزلت بجميع زعمائه هو أيضا ، وانه لا يزال يطمع في اضلال الامة العربية وجميع الشعوب الاسلامية ، وايها مهمل بالدعاية الكاذبة أن الذين سلوا سيوفهم مع الاجانب وقتلوا تحت لوائهم حتى ملكوهم بلاد العرب من حدود مصر الى خليج فارس خير للاسلام وللعرب ممن أسس لهما ملكا جديدا ليس لاجنبي ما ادنى نفوذ فيه ، ثم انقذ الحجاز من السيطرة الاجنبية والمظالم الطغوتية ليجعل الامر فيه لاهله وللمسلمين دون غيرهم ، وهالك مضمون مواد المعاهدة كما نشرتها جميع الجرائد المشهورة

١ — مضمون المادة الاولى اعتراف الحكومة البريطانية بان نجدا والحسا والقطيف والجبيل وماحققتها وثغورها (موانيها ومرافئها) على عواحل خليج العجم كلها تابعة للامير عبد العزيز بن السعود كما كانت لآبائه من قبل ، وانه هو حاكمها المستقل والرئيس المطلق على جميع قبائلها ، واعترافها ايضا بانها ستكون مودونة لاولاده واعقابه من بعده ولكنها قيدت هذا الاعتراف بان يكون الامير اللاحق مختارا من الامير السابق (فيخرج من كان متغلبا عليه) وأن لا يكون خصما معاديا للحكومة البريطانية بمخالفته لشروط هذه المعاهدة فقط

نقول ان هذه المسادة نص في مصلحة ابن السعود فان الدولة البريطانية

اعترفت له فيها بالاستقلال المطلق في هذه البلاد كلها وكان قريب العهد باستيلائه عليها ، ولو قالت أن ثغور نجد وبلاد الحسا كانت للدولة العثمانية ولي الحق باحتلالها ماذا كان يفعل ؟ وأما تقييد اعترافها باستقلال من بعده من أولاده واعتقابه بقبولهم هذه المعاهدة فلا يضره ، فإن معاهدته لما كانت لا تلزم من يخلفه اشترط الانكيز فيه هذا الشرط ، ولا يجب على خلفه قبوله بنص هذه المعاهدة كما يعلم من أصول القوانين الدولية ، فإذا كان الخلاف في غي عن الاعتراف بهذه المعاهدة لم يعترف بها — لا كما يزعم اجراء الدعاية الحجازية من أن هذا تقييد لمن بعده بالاخلاص الانكيز كما عبر بعضهم (١١)

٢ — مضمون المادة الثانية أن الدولة البريطانية تلتزم أن تساعد ابن السعود وذريته على أي دولة أجنبية تعتدي على بلادهم إذا كان هذا الاعتداء بدون علمها ولا إعطائها الوقت الكافي لمراجعة سلطان البلاد ومذاكرته في إزالة الخلاف المسبب للاعتداء ، وقيدت هذه المساعدة برأي ابن السعود . وهذه المادة في مصلحته ولا تخل باستقلاله أيضا

٣ — مضمون المادة الثالثة أن ابن السعود يلتزم أن لا يعقد اتفاقا ولا معاهدة مع أي حكومة أو دولة أجنبية و بعد بعدم مفضضة أحد في ذلك ويلتزم اعلام الحكومة البريطانية بكل تجارز أو تمد على شيء من بلاده التي ذكرت في هذه المعاهدة هذه المادة منافية لمصلحة ابن السعود لأنها قيد الاستقلال وإنما سهل قبلها عليه — ان صح نصها — ما كان عليه من حياة العزلة وعدم نية الارتباط والاتفاق مع أحد من الحكومات والدول . ولما شعر بالحاجة الى الاتفاق مع السيد محمد علي الادريسي نقض هذه المادة واتفق معه اتفاقا كتابيا ، ثم فاض الامام محيي واتفق معه على امور لم تنشر بعد ، فثبت بهذا أن غير مقيد بما يراه مخالفا لمصلحته منها

٤ — مضمون المادة الرابعة أن ابن السعود يلتزم أن لا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر ولا يتخلى عن شيء من اراضي بلاده التي ذكرت في هذه المعاهدة

ولا يمنح امتيازاً لدولة اجنبية أو لاحد من رعايا دولة اجنبية بدون رضى الحكومة البريطانية وبان يتبع في ذلك نصائحها التي لا تنصرف بمصالحه هذه المادة منافية لمصلحة ابن السعود من حيث هي مقيدة لاستقلاله فقط وانما سهل عليه قبوله اعتقاده انها من تحصيل الحاصل لانه لا ينوي ان يجعل لاية دولة اجنبية حقاً من حقوق الملك ولا الامتياز ولا غيره في بلاده ، وهذا عين المصلحة له وبلاده بشرط ان يشمل الدولة البريطانية ورعاياها كسائر دول الفرنج ، لانهم اذا دخلوا بلاداً وصار لهم حقوق فيها اذلوا اهاليها واقتاتوا عليهم وسلبوهم استقلالهم ، وقد نصح شيخ حكماء العصر الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر لليابانيين بان لا يدخلوا الانكليز في بلادهم لمساعدتهم على تنظيمها وعمرانها وعال لهم ذلك بانهم اذا دخلوا لا يخرجون ، وارشدهم الى الطريقة المثلى وهي ان يرسلوا من ابنائهم من يتعلمون ما يحتاجون اليه حيث يجدونه من أوربة ليعودوا ويتولوا الاصلاح بانفسهم وقد قبلوا نصيحته فارسلوا الى الغرب من تعلموا ما يحتاجون اليه من فنون الحرب والعمران والثروة والصناعات التي تتوقف عليها القوة والسيادة - خلافاً لما فعل من عنوا من الشرقيين باقتباس عادات الفرنج وازيائهم وقوانينهم فكان ذلك سبباً لاضاعة استقلالهم (اياك اعني واسمي يا حارة)

وقد كان فيما رضيناه مع اصدقائنا مؤسسي قواعد (الجامعة العربية) قبل الحرب العامة انه لا يجوز لاحد من امراء جزيرة العرب أن يمنح دولة اجنبية شيئاً من رتبة البلاد ولا منافعتها ولا لاحد من رعاياها ، ولكن الدولة البريطانية أرادت حصر هذه المنافع في رعاياها أو حكومتها لانه توطئة لاستعمار البلاد والسيادة فيها بل هو الطريق المعبد له دون الحرب ، فلا يجوز لحكومة شرقية أن تبيعه في بلادها طمعاً في الربح منه الا بعد أن تصير ذات قوة حربية تخولها أن تشتري على الاجانب الذين يدخلون بلادها أن يكونوا فيها خاضعين لشرعها ونظمها ، نافذة

فيهم احكامها ، وأن تشتترط عليهم في عقد الامتياز أو الامتلاك من الشروط الواقية للبلاد من تعدي دولهم ما هي قادرة على تنفيذه

• — هذا ما يتعلق بالاستقلال اطلاقاً وتقييداً من مواد هذه المعاهدة والمادة الخامسة منها خاصة بابقاء الطرق الموصلة الى البلاد المقدسة من نجد وملحقاتها مفتوحة والمحافظة على الحجاج الذين يسلكونها ، وذكرها في هذه المعاهدة من الربا ، والفضول البريطانيين ، والمادة السادسة في التزام ابن سعود بعدم الاعتداء على حكومات جيرانه من عرب البحرين والكويت وقطر وعمان والمشيخ الذين تحت الحماية البريطانية

وخلاصة القول في هذه المعاهدة انها كانت على علانها في مصلحة ابن السعود وانه لا يوجد عاقل منصف يعرف ما كانت عليه حاله وحال بلاده عند عقدها يقول إن عدمها كان خيراً منها ، وكل ما امكنا انتقاده منها هو أن الانكليز ربما كانوا يرضون من ابن السعود بما دون هذه القيود كلها مع اقتناعهم بحسن نيته لو كان أشد في مسارمته وألحن بحجته (ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين)
وأما الحال التي اشرنا اليها هنا فهي ما ذكرناه بالايجاز من قبل وهي أنه كان لآل سعود اماره في نجد عظم شأنها الديني والدنيوي بالأصلاح الذي قام دعا اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب فنهضوا به نهضة اشبهت نهضة العرب في صدر الاسلام حتي توقع المؤرخون وأهل الرأي في الشرق والغرب بان يعود بها عهد الخلفاء الاولين قوة ومجدا واصلاحاً وحضارة ، فكان أول من ناصبها العداء امير مكة الشريف غالب وهو الذي اغرى بها الدولة العثمانية ، واقرى عليها المطاعن الدينية ، فما زالت تناوئها وتقاتلها وتساعد ابن الرشيد عليها حتى استولى على عاصمتها ولجأ اميرها الامام عبد الرحمن الفيصل بأولاده الى الكويت فاقاموا ضيوفاً على شيخها ابن الصباح الى ان نهض نجله عبد العزيز هذا نهضته التي تعد من نوادر

تاريخ الرجال فاستعساد الامارة التي كانت لوالده ثم استرد ما كان بيد الدولة العثمانية منها وكان من امر دخول الدولة في الحرب الكبرى ما ذكرنا في المقام الاول فلم يعقد مع الانكليز هذه المساعدة لزعوموا ان هذه البلاد للدولة العثمانية واحتلوا سواحلها وأعانوا ابن الرشيد وغيره على مناجزتها من الداخل بل كان منهم من يغريه بابن السعود مع اتفق معهم كما ثبت هذا عنده !

على أن هذه القيود المنتقدة من المعاهدة لا تجعل للانكليز أدنى حق في التدخل الفعلي في شؤون البلاد ولا نعترف لهم بسيادة ولا حماية عليها — كما اعترف لهم الشريف حسين بحق الحماية والتدخل الفعلي — ومثل هذه المعاهدات تكون مؤقتة بطبيعتها وقليما تتجاوز العائنة من عمرها . والعبرة بما يحصل بالفعل من ثمرة عقدها ، في زمن اقتناع المتعاقدين بالحاجة اليها ، ثم يتبع كل منهما بعد ذلك الزمن مصلحته ، والمدار في جميع الامور السياسية على القوة وما يسمونه « الامر الواقع » فالذي استفاده الانكليز من هذه المعاهدة بالفعل هو أن ابن السعود لم يقاوتهم مع الدرلة العثمانية ، والذي استفاده هو منهم (١) اعترافهم له ولذريته بانهم اصحاب هذه البلاد وحكامها (٢) عدم الاستيلاء على شيء منها كما استولوا على فلسطين وسورية والعراق ، ولولا اتقاؤهم هياج العالم الاسلامي لاستولوا على الحجاز (٣) تأمين معيشة بلاده في عسرة سني الحرب (٤) تمكنه من القضاء المبرم على امارة ابن الرشيد التي كانت تهدده في كل حين (٥) قبض مئات الالوف من الجنيهات نظم بها قوة بلاده حتى صارت أعظم قوة في بلاد العرب ، وقد نقض بعد ذلك ما رأى من مصلحته نقضه

ولو انه جعل الانكليز ادنى تدخل فعلي في بلاده باتفاق كتابي أو شفوي لكان اشد خطرا عليها من الف معاهدة تكتب ولا يعمل بها كما يعلم هذا باليقين من تاريخهم ومسألة مصر والسودان أظهر الآيات على ذلك وأشهرها (فان قيل) ان هذه المعاهدة قد تمكنهم من العبث باستقلاله والتدخل العملي

في شؤنه بحجة تقضه لبعض شروطها (قنا) إن هذه أمور تتبع المصلحة وتراعى فيها القوة ، ومتى عزم القوي على شيء لا تعوزد الوسيلة ، وليس في هذه المعاهدة نص على جواز العبث باحتلال البلاد النجدية أو التدخل في شؤونها الداخلية إذا ترك سلطانها الوفاء بشيء مما التزمه فيها ، وإنما يمكن للانكاز أن يحولوا دون تنفيذ أي تقض للمادة الرابعة لا يمنع ابن السعود وحده من إعطاء امتياز للدولة الأجنبية أو لبعض رعاياها في تلك البلاد بل يمنع أي دولة من الدول نفسها أو رعاياها من الإقدام على التعاقد معه على ذلك ، وقد بينا أنه ليس من مصلحة ابن السعود تقض هذه المادة ومن المعلوم من سياسة الانكاز أنهم لا يقدمون على حرب شعب حربي مساح لأجل فتح بلاده أو التمتع بالنفوذ فيها ولا سيما مثل بلاد نجد في فقرها وعدم وجود مرافق الحياة وأسباب النقل فيها ، فهي بلاد لا يمتدى عليها بالقوة العسكرية ، لأن الخسارة في ذلك أعظم من الربح قطعا ، وإنما يخشى عليها من تمكن قوة الأجانب ونفوذهم فيما جاورها ، وهو ما يخدمهم البيت الحسيني فيه هذا وإن جميع مواد هذه المعاهدة خاصة بالبلاد التي ذكرت فيها بالاص فلا يدخل فيها ما استولى عليه ابن السعود بعدها كبلاد عسير باتفاقه مع الأدرسي فضلا عن بلاد الحجاز كما أرجف أهل بيت حسين الحجازي وأجراء دعايته الكاذبة الخداعة . على أن ابن السعود قد قيد نفسه في مسألة الحجاز بمؤتمر اسلامي يقرر شكل حكومة الحجاز فلم يدع ما يدعيه حسين وأولاده من أن الحجاز ملك لهم يجب أن يكون رهن تصرفهم فيه مطلقا لا رأي فيما لاحد من مسلمي العرب ولا العجم (١) وسنبين في المقالة الثالثة وجوها أخرى من الفرق بين أهل هذا البيت وبين ابن السعود دحضا لدعائهم ، وإبطالا لدعائهم

(١) قال ولده الأمير عبد الله إن لهم حقا أن يتصرفوا شؤون الحاج ويعتدوا من شأوا منهم دخول الحجاز أي لأجل الحج ونشر هذا بعض الجرائد عنه

الوهابيون والحجاز

عود على بدء

(٣)

ذكرنا في المقالة الاولى من هذه المقالات اننا استأنفنا الكتابة في هذا الموضوع في وقت لا نملك فيه مراجعة شيء مما عندنا من المحفوظات المتعلقة به وهو وقت نقل مكتبنا ومافيه الى دار اخرى فكان اعتمادنا على ماتذكر مما سمعنا وقرأنا ومنه الكثير مما كتب به اجراء الدعاية الحجازية الحسينية العلوية في المعاهدة البريطانية النجدية وغيرهم واننا على اعتقادنا أن أكثر ما يكتبونه مفتريات وأباطيل ، وخداع وتضليل ، قد علق في ذهننا بعض فتوهمنا أن في هذه المعاهدة نصوصا في تقييد استقلال سلطان نجد فوق ما يدها في المقالة الثانية التي كتبناها بعد أن اتيج لنا الاطلاع على نصها الذي نشر في العراق ثم في سائر الافطار العربية اذ كان قد طال عهدنا بالاطلاع على ذلك الاصل ، وكان من هذا الوهم أن من القبود السلبية التي قيد بها سلطان نجد انه لا يستطيع أن يحارب بلادا موالية للدولة البريطانية بدون إذنها اذا أكثر أنصار حسين وعالي من الانط بانه تحت الحماية البريطانية وانه لم يهاجم الحجاز الا باتفاق مع الدولة الحامية له ، وليكننا رأينا رجاله يهاجمون العراق وشرق الاردن ايضا ، رتة صدي الطيارات البريطانية لاهاجمين عايتها من الوهابيين فتدفعهم عنها — فلهذا ولما ذكرناه من اتفاق سلطان نجد مع السيد محمد علي الادريسي من قبل ومع الامام بحبي من بعد ولما عرفه القاضي والدني من انفاقه مع نوري باشا الشعلان أمير قبائل الرولة على ان يشغل هذا بقية (الخوف) بشرط أن يمنع الانكليز من مد سكة حديدية بين فلسطين والعراق نمر منه — لهذا كله قلنا ان تلك المعاهدة امست قصاصة ورق لا قيمة لها

وقد اتفق لنا عند الشروع في كتابة المقالة الثانية ان رأينا نص المعاهدة في بعض الجرائد قبل أن يتيسر لنا مراجعة الاوراق فلم ير فيها شيئا يمنع سلطان نجد أن يكون غازيا ولا فاتحا ولا أن يتصرف في بلاده بما يشاء كما يشاء اذا لم يدخل فيها نفوذ دولة أجنبية — وهذا قيد بمنعه مما يضره ولا ينفعه — وأمامنا من عقد الاتفاقات مع الحكومات والدول فاذا كان يشمل الحكومات العربية المجاورة له فقد نقض المعاهدة بمخالفته — وان كان لا يشملها فلا يضره هذا الشرط الآن اذ ليس من مصلحة نجد أن تكون ذات علاقة بالدول الاجنبية ولا هي مستعدة لذلك ، وللمستقبل حكمه واستعداده

واننا قبل ان نبين ما وعدنا به من المقابلة بين سلطان نجد وبين الشريف حسين وأولاده نقول اننا كنا ذكرنا في المقالة الاولى اننا سمعنا خبر المعاهدة البريطانية النجدية أول مرة من الملك فيصل في الشام (وكان اجتماعنا به هنالك سنة ١٩٢٠) كما ذكرنا اننا سمعنا خبر اختيار ابن السعود عدم الدخول في الحرب العامة في جانب الدولة العثمانية ولا في جانب الدولة البريطانية وذكرنا تعليقه نقلا عن صديقنا السيد طالب بك النقيب ، وتذكر اننا سمعنا منه انه كان قد كلف مخاطبته في هذه المسألة وانه نصح له بما يليق به وهو ما فيه مصلحته من حيث هو أمير مسلم وقد فهم المشار اليه اننا ننهي بما قلناه انه كان هو الذي توسط بين الانكليز والامير ابن السعود في عقد هذه المعاهدة فكتب في الجرائد نصحيحا للخبر هو انه كان اخبرنا بأنه هو الذي توسط بين الامير ابن السعود وبين الدولة العثمانية في عقد الاتفاق الذي اشرنا اليه في المقالة الاولى وكان ذلك قبل الحرب وأما المعاهدة المذكورة فقد عقدت بعد نفيه من العراق في أوائل الحرب وحدد لنا الزمان والمكان اللذين اخبرنا فيهما بما ذكر وهو انه كان على مائدة الافطار بدارنا في شهر رمضان من سنة ١٩١٦ وذكر بعض الذين كانوا معنا ليلئذ . وقد تذكرنا ولكن هذا غير ذاك فنحن لم نقل ولم ننصد بعبارتنا الوجيزة

المهمة ان صديقنا توسط في معاهدة سنة ١٩١٥ اذ صرحنا بأننا لم نسمع خبرها الا من الملك فيصل سنة ١٩٢٠ وانما العالق بذهننا ان الانكليز لما أعلنوا الحرب مع حلفائهم على الدولة العثمانية وشرعوا يغزون امراء جزيرة العرب بان يكونوا معهم عليها كان نصيبهم من ابن السعود ماذكرنا من الاتفاق الساي ولم نكن نعلم انه كان بمقتضى معاهدة مكتوبة ، وقد ذكرنا هذا مراراً في المنار وغيره اي الاتفاق السلي ، فان كنا واهمين في سماع هذا الخبر من صديقنا (طالب بك) وانه كان كاف مخاطبة ابن سعود فنصح له - فاننا نستغفر الله تعالى ولا نرى عليه غضاظة فيه فنستغفره هو وانما نعد ذلك من حسناته

اما بعد فهذا أوجز ما يقال في مسألة المعاهدة البريطانية النجدية على فرض صحتها وكون هذا الذي نشره الحجازيون هو نصها ليس فيه تحريف ولا تزوير مما اعتادوه حتي في الرسميات كما حرفوا نص ما كتبه جمعية الخلافة في الهند للملك جده الشريف على تحريفها تغير المعنى وان زعم نصيرهم المقطم انه لا فرق بين الاصل الذي كتبه اليه رئيس وفد الخلافة وبين تحريف الكتاب الاحمر الحجازي في المعنى ، كان المقطم يري ان اذا الشرطية بمعنى ما المصدرية رسياتى بيان هذا في مقال آخر والامر الواقع الذي لا يحتمل التحريف ولا التأويل أن السلطان ابن السعود سلطان مستقل في بلاد نجد وملحقاتها ليس في بلاده اجنبي مسيطر ولا غير مسيطر عليه أوله نفوذ ماني بلاده — وانه يغزو ويضم بلاداً الى بلاده ويعقد المعاهدات بينه وبين من يتفق معه من الحكومات المجاورة له ، بدون ادنى تدخل من الانكليز وغيرهم — وأن رجاله قد غزوا بعض قبائل العراق وشرق الاردن التي هي بمقتضى سياسة امراء اوملوك البيت الحسيني تحت سلطان الانكليز بالفعل وقاومهم هؤلاء بطياراتهم واخيراً هاجم الحجاز وطرد منه رئيس هذا البيت الذي سمي ملك العرب وخليفة المسلمين واحتل عاصمته وحصر ولي عهده الذي ادعى

الملك في أحد ثنوره ، وقد ظهر للقاضي والداني كراهة الانكليز لهذا الامر وما قبله ، وعلموا أنهم ارسلوا اليه من يفارضة فيه بصفة غير رسمية فابى ان يقابله وأن يكلمه في ذلك فعاد خائباً

هذا هو الحق الواقع الذي لا نستطيع حكومات البيت الحسيني البريطانية ولا دعائهم ومقطعيها ان يحرفوه ولا أن ينقضوا منه شيئاً ، ولا أن ينكروا ان نجدا كانت اماره صغيره قد تقلص ظل امرائها آل سعود عنها فاعاده السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل هذا ووسع الامارة فصارت سلطنة بشهد أهل المعرفة من الشرقيين والاوربيين أنها اعظم قوة في بلاد العرب فماذا فعل البيت الحسيني الحجازي ؟

صنحت للأشريف حسين فرصة لتأليف قوة عربية بوحدة حلفية تحت رياسته كانت تكون هي الوسيلة الوحيدة لتأليف مملكة قوية مستقلة فلم يعقل ذلك ولا رضي به — وفارضة الانكليز في موالاته لهم واثارة العرب على الدولة العثمانية فلو اشترط في القبول اعترافهم واعتراف احلافهم باستقلال البلاد العربية بنص رسمي لا يمكن قبولهم — ولكنه استبد بالامر وعرض عليهم من تلقاء نفسه تلك المواد التي سماها « مقررات النهضة » التي صرح فيها بان « الامة العربية بمنزلة القاصر في حجب الدولة البريطانية » — وان هذه الدولة هي التي تؤسس له مملكة عربية وصفها بكلمة مستقلة وبان على الدولة البريطانية ان تكون حامية لها من الداخل والخارج حتي من الفتن الداخلية والثورات المحلية — وان تختار لها العمال والموظفين (١) وان الدولة البريطانية تحتل البصرة من ولايات العراق لاجل تأمين حامية البلاد العربية الى أن يصير للدولة العربية في ظلها من القوة ما يكفي لحماية نفسها بقوتها (١) ثم اعترف لها بحقوق خاصة في جميع العراق وتأجيل البت في مسألة سورية الشمالية لما تدعيه فرنسا من الحقوق فيها الخ

كانت هذه المقررات سرا مكتوما فافشاه الامير فيصل ونشره في جريدة

المفيد بدمشق الشام. ثم قرأنا في جريدة الملك حسين التي سماها القبلة أنه قد كتب الى الدولة الانكليزية مرارا بالاستقالة من ملك الحجاز وأن يعينوا فيه ملكا غيره !!

هذا شأن الحجاز الذي تفتخر الدعاية الحجازية بان حسينا جعله مستقلا بالفعل ، وما جعله مستقلا الامكانه الدينية التي منعت الانكليز من تنفيذ ما اقترحه حسين في مقررات نهضته من حمايتهم له من الداخل والخارج وأما فيصل فخدع أهل سورية خداعا فوق خداع والده الذي نومهم تنويما كانوا يحلمون فيه المملكة العربية المستقلة — خدعهم بذلك الخطاب التي كانت تهدر بها شفاشقه بكفالة الاستقلال التام الناجز اسورية وبانه هو ابن محمد (ص) ويتبرأ منه ان كان يرضى لسورية بماعدا الاستقلال المطلق من قيود الوصاية والحماية وغيرها — وقدرضي فبري — فلما جاءت لجنة الاستفتاء الاميركانية الى سورية للوقوف على رأي أهلها امره سادته الانكليز بان يحمل الاهالي على طاب الوصاية البريطانية ففعل ولكنه لم يطمع ، وصرح بانه غير سياسته فجأة لانه علم علما قطعيا بان الوصاية لا بد منها وأن طاب الاستقلال التام المطلق ينفذي الى جعل الوصاية افرنسة ، فهو اذا خيانة للوطن أرهو الخيانة العظمى (!)

ثم ذهب الى انكلترا فأمرته حكومتها بان يتفق مع سيو كامنصو الرئيس الفرنسي على قبول انتداب فرنسا لسورية واقناع السوريين بذلك فاطاع، وعاد الى سورية لاقتناع زعمائها بذلك فاعجزه الاقتناع ، وأعلنت البلاد استقلالها رجعت ملكا عليها ليرجع عن هذا الرأي ، ويكون لها على الاجنبي دون العكس ، فرجع في الظاهر دون الباطن ، ولما أرسل اليه الجنرال غورو إنذاره المعروف في يونيو سنة ١٩٢٠ حاول أن يخدع المؤتمر السوري ليفوض الامر اليه فعجز ، فحل عقد المؤتمر وقبل الانذار الفاضح ، وحل الجيش المدافع ، وخرج من دمشق فاقام في ضواحيها الي ان احتملها الجيش الفرنسي فلما تم الاحتلال عاد اليها لكون في ظل الانتداب

الفرنسي ملكا عليها (??)

وبعد طرده منها عاد الى اولياء أمره الانكليز الذين سل سيفه تحت قيادتهم ومساعدتهم على فتح القدس الشريف والشام ، وأخذ ثار القرون الطويلة من العرب والاسلام ، شاكيهم ما أصابه معلناهم ثباته على اخلاصه لهم ، فarsلوه الى العراق وجعلوه ملكا عليه ، فجاهد ولا يزال يجاهد في سبيل توطيد نفوذهم فيه بالاسم الذي يريدونه وأما عبدالله فقد جاء شرق الاردن بعد فرار أخيه من سورية في اثر مكاتبات بين بعض احرار السوريين الذين لجؤا اليها وبين والده وكانت هي المنطقة الحرة التي لم تدخل في الانتداب لافلسطين ولا لسورية ، وكان لاولئك الوطنيين الاحرار من الآمال فيها وفي الملك حسين وفي الامير عبدالله ما كنت في حيرة منه ، ولم أجده تأويلا - بعد أن علموا من كذب هذه الاسرة وخداعها مالا يمكن تأويله - الاتعاق الغريق بحبال الهواء (كما يقال في تلك البلاد) فما زال الامير عبد الله يجاهد في هؤلاء الاحرار ويسرف في اموال المنطقة ويحكم فيها عبيده ويتزلف الى الانكليز والصهيونيين حتى وضم المنطقة في دائرة الانتداب الفلسطيني وأوصل نفوذ الانكليز واليهود الى حدود الحجاز باذن والده (المنقذ الاعظم) ورضاه وهو أحب اولاده اليه

وأما على ولي عهد والده وهو الذي كان يظن أنه خيرهم ان كان فيهم خير - فهو « يمثل الآن شر دور من أدوار القضية العربية » كما يقال في التعبير المصري - فان الداء الذي جعل أباه وأخويه ذكبة على العرب والاسلام متمكن منه كتمكنه منهم أو أشد ، وفيه جميع مساوئهم الاخترقانة الجبروت فلم يحك لنا

« ١ » بلغنا بعد نشر هذه المقالة في الاهرام صحة ما كان أشيع من ان الشريف حسين ولديه عبدالله وعليه امضوا للانكليز ضم معان والعقبة الى شرق الاردن وهما من ارض الحجاز لئلا يأخذها سلطان نجد ، فهل يوجد مسلم صحيح الاسلام أو عربي غير خائن لامته يشك بعد علمه بهذا في خيانتهم لدينهم وأمتهم ؟

عنه منها شيء لانه ضعيف الارادة

اما الداء الذي نعنيه فهو الافتتان بلقب الملك ومظاهر عظمته ولو في ظل دولة اجنبية ، بل هو متواطىء معهم علي أن يكونوا كلهم ملوكا في حماية الدولة البريطانية ، وقد أخبرني رئيس الوفد الهندي أنه ثبت عندهم في جدة أنه عرض على المعتمد البريطاني فيها أن يكون الحجاز تحت الحماية البريطانية رسميا ليصدوا سلطان نجد عنه ، وكلفه أن يكتب الى دوائه بذلك فاجابه بأن دوائه قررت الحياد رسميا فلا تعدل عنه ، فكان هذا مصداقا للروايات الكثيرة المختلفة المصادرة في ذلك ، وان كذبها دعاء سياستهم في مقاطعهم وغيره ، ونبين هذا في مقال آخر ، وأما المساوي المرادة هنا فهي الجهل والاستبداد والخداع والكذب والاثرة والغرور بالنسب باعتقاد انهم أولى الناس بالسيادة على العرب وأحقهم بالملك والخلافة بنسبهم الذي يشاركم فيه ألوف لا تحصى وكثير منهم يفضاؤونهم في كل ما يتوقف عليه الملك من علم وخلق وعمل

فعلني هذا متواطىء مع أيه على ادعاء خلعه واخراجه من الحجاز وكون أهل الحجاز بايعوه على أن يكون ملكا دستوريا على الحجاز وحده — وكونه يعترف لكل امارة في جزيرة لعرب باستقلالها اذا اعترفوا باستقلاله في الحجاز — وهذا كله كذب وخداع ، وكذا وجود حزب وطني حجازي ينطق بلسان أهل الحجاز ويعبر عن رغباتهم — وقد كنا نرتاب في كل خبر من هذه الاخبار عند نشرهم اياه ثم تأنيئا الانباء الصادقة باليقين الموافق لرأينا ، ومن المؤسفات اننا كنا في شواغل حالت دون بيان رأينا في الجرائد ، على اننا كنا نذكره لكل من نتكلم معهم في هذه الشؤون وذ كرنا بعضه في الخطاب العام الذي ننشره في هذه الايام وفي المنار وقد كانت أخبار الوفد الهندي الصادقة آخر ما جاءنا من الحقائق الموافقة لرأينا ومنها أن علميا لا يزال يخاطب والده بالقب الملك والخلافة وامارة المؤمنين وأن الحزب الوطني مؤلف هنالك من محمد الطويل وطاهر الدباغ من اركان حكومة

علي ولم يبق ممن كانوا خدعوا به ودخلوا فيه من الحجازيين احد ، والذي نعلمه نحن أن الاول تركي الاصل والثاني مغربي — ولهما مندوبان بصرهما حسين الصبان الذي كان مدير جريدة القبلة وعبد الرؤف الصبان وهما اللذان ينشران الدعاية باسمه — ومما قاله رئيس الوفد وأعضاؤه وهو معروف عندنا وعند المختبرين انه ليس في حكومة علي في جدة نفوذ لاحد من أهل الحجاز فان الجند وضباطه سوريون وكذا جل رجال الحكومة على قلوبهم .

ومن غريب أحداث الزمان ان أهل هذا البيت الحسني يبغضون السوريين أشد البغض وأن السوريين كانوا أشد انصارهم في الحجاز وسورية وشرق الاردن وهم الذين سموهم خليفة المسلمين وأمير المؤمنين المرة بعد المرة — ولكن !ا كان كل ذلك في كل وقت مبنيا على اساس منافع للحق والمصالحه العرب والشريعة الاسلام ، لم تكن عاقبته لالحبيبة والحذلان

وجملة القول أن علي بن حسين قد حصن ثغره جده بمال ابيه ومساعدة أخيه وبما استأحرا له من الجند من شرق الاردن وسائر فلسطين وسورية وبما ابتاع به من السلاح ولذخائر وعدد القتال من أوربة ، وسمى نفسه ملك الحجاز ، وقد عرض بلاد الحجاز بهذا للحرب والجوع وهو مستعد لمنع الحج اذا عجز الوهابيون عن الاستيلاء على جدة قبل الموسم ، بل هو يستحل اهلاك الحجاز وأهله والعرب والمعجم لاستعادة ملك الحجاز له والخلافة لوالده . فالخلاف بين علي بن حسين وحسين بن علي من جهة والسلطان ابن السعود من جهة أخرى قائم على هذه المسألة وهي أنها هو يريد انقاذ الحجاز من أهل هذا البيت الظالم وأهله وجعل أمره لأهل العقول والبصيرة من أهله ومن سائر العالم الاسلامي وهما يريدان أن يكون ملكا لها يتصرفان فيه وفيمن يرد اليه من مسلمي العالم كله كما يشاء كبيرهم الذي ثبت بالتواتر العام ظلمه وإلجاده في الحرم وسوء إدارته ثم من يرثه منهم .

الحجاز والعرب

بين السلطان العامل الصامت - وملوك الرعاية الفخريين

﴿ خاتمة هذه المقالات ﴾

﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ﴾

ابتلي العرب بالترك المتعصبين لجنسهم يحاولون هدم لغتهم فدينهم أو يكونوا تركا فكن من أمرهم ما كان ... ثم ابتلوا بالشرىف حسين بن علي أمير مكة فظنوا أنهم ينالون بالنهوض معه استقلالهم فنهضوا ، فاذا به وبأولاده يتخذون العرب سلعا تجارية يبيعونها للأفرنج ليكونوا ملوكا في ظل دولتي الاستعمار الكبيرين ، ففقدوا بسوء سياستهم مهد الحضارتين الاموية والعباسية ، وقد ظل بعضهم مخدوعا باستقلال حسين فولده علي في الحجاز ، من حيث كان يسعى آخرون من أعقلهم وأعلمهم بالحقائق إلى القضاء عليها قبل أن يفعل فيها ما فعل عبد الله في شرق الأردن وفيصل في العراق ، وقد قضى الله على الأولين قبل أن يقضيا على خير تراث العرب والاسلام ، ونسأله تعالى ان يكتفيهما الاخرين

ثم ابتلي العرب الآن في مهد أمتهم ، والمسلمون في مأرر دينهم بزعيم هو في نفسه خير مما كان يعرف عنه ويقال فيه ، كما كان أولئك شرّاً من كل ما كان يعرف عنهم ويقال فيهم ، وهو عبد العزيز ابن السعود سلطان نجد ، فالمرجو أن يكون هذا من الابتلاء بالحسنات بعد السيئات ، وبالخير بعد الشر ، كما قال تعالى (وبلوناكم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) وقال (ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) وعسى أن تكون عاقبة ما ذكر من الابتلاء الرجوع إليه تعالى بإقامة سنته في السياسة والاجتماع ، وشرعه في الحق والعدل والفضل . ولما كان

بعض السوريين وغيرهم مرتاباً في أمر ابن السعود إما للجهل بتاريخه وسيرته ، وإما لقياسه على حسين وأولاده ، وإما لتأثير دعايتهم الطاعنة فيه ، وتأثير دعاية أجدادهم مع الترك في الطعن بسلفه وقومه النبوزين بلقب الوهابية . رأيت أن أختم مقالتي الكثيرة في هذا الموضوع بخلاصة من سيرة الفريقين

السلطان ابن السعود

لما بلغ أمير نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أشده رأى نفسه مع والده وأهل بيته ضيوف عند ابن الصباح صاحب الكويت إذ كان ابن الرشيد أمير شمر قد غالبهم بمساعدة الدولة العثمانية على أمرهم ، وأخرجهم من الرياض عاصمة إمارتهم ، فماذا فعل هذا الشاب الناشئ ؟ عزم على استعادة ملكهم فاستنفر زهاء ثلاثين رجلاً من قومه ، فركب كل منهم ذلولاً ، وخرجوا من الكويت إلى نجد يستنفرون من معروا به من عشائرها في طريقهم ، وهو كما قال الشاعر :

إذا هم ألقى بين عيني عزمه وتقيب عن ذكر الحوادث جانباً
فحارب ابن رشيد المجهز بمدافع الترك ورشاشاتها وقهره ، واستعاد إمارة آبائه وأجداده منه — ثم إنه غزاه بعد ذلك ، وكان قد نزل له والده عن إمارة نجد ، فأحسن الإدارة ، ونظم القوة ، وهجم على عشائر شمر في جبلهم المنيع فحصرهم فيه في أيام الحرب الكبرى وشدة الغلاء ، وكان قدراً على أخذهم عنوة بالمناجزة ، ولكنه على شجاعته يكره سفك الدماء ، فيقف فيه عند الضرورة — وما زال يضيق عليهم الخناق ، حتى نزلوا على حكمه ، وخضعوا لأمره ، فأزال إمارتهم بضمها إلى إمارته ، وحبسته أن قطراً واحداً يتفق أهله في اللغة والدين والعادات لا يجوز شرعاً ولا مصلحه أن يكون فيه حكومتان تتماثلان ،

وعلمان يتنافسان ، وقد وضع من بقي من أسرة آل الرشيد عنده في الرياض ، يعاملهم فيها معاملة أولاده وأهل بيته سواء

وكان قبل ذلك قد وجه عزمه إلى أخذ سواحل نجد التي على خليج فارس المعروفة بالحسامن الترك (ويسمونها الترك متصرفية نجد) فنأز بذلك ولكن الترك رأوا أن يصالحوه كما صالحوا إمام اليمن ، ويجعلوه صديقاً لهم بدلاً من الاستمرار على سفك دماء جيوشهم في بلاد العرب هدرًا من غير فائدة سياسية ولا اقتصادية كما جربوا في القرون الماضية ، فعقدوا معه اتفاقاً رسمياً اعترفوا له فيه بأن بلاد نجد إمارة مستقلة ، وأن الحكم فيها له ولذريته من بعده بالأثر ، واشتروا فيه شروطاً هي نافعة له غير ضارة ككونه إذا احتاج إلى ضباط ينظمون جيشه أو سلاح ونحوه يطلبه من الدولة دون الأجانب الخ

صارت نجد في أيامه إمارة كبيرة أحسن إدارتها ، وحفظ الأمن فيها ، ونظم الدعوة لنشر الدين والحضارة في قبائلها والقبائل المجاورة لها ، كما نظم فيها القوة المقاتلة تنظيمًا كافيًا لحفظها ، والأمن من اعتداء أحد من المجاورين لها عليها ، ولكنه ليس تنظيمًا فنيًا كجيوش دول الحضارة المعروفة ، على أن كبرى الدول صارت تحسب لقوته في البلاد المجاورة له ألف حساب ، وخطبت مودته الدولة البريطانية ، وحاولت أن تستعين به على قتال الترك في العراق فأبى ، وعقدت معه اتفاقاً اعترفت له فيه بسيادته على نجد وملحقاتها ومنها ما كان بيد الدولة العثمانية . وفي ذلك الاتفاق تقييد لاستقلال نجد الخارجي لا تشعر به حكومتها إلا إذا أرادت الخروج من عزلتها ومعاملة العالم ، فان لم يكن ألغى فقد صار إنفاذه اليوم أسهل مما كان بالأمس ، لأن الدولة البريطانية أحوج إلى موادة ملك الحجاز وسلطان نجد اليوم منها إلى سلطان نجد وحدها بالأمس ، ولا تزال حريصة عليها في الظاهر ، وإن كانت تكيد له في الباطن ، على أنه هو قد صرح في مكة بأن استقلاله مطلق لا نفوذ عليه ولا في بلاده لأجنبي قط

فعل كل هذا عبد العزيز آل سعود — وما هذا بقليل على مثله في هذا الزمن القصير ، وهو مع هذا في منتهى التواضع في معيشته وحكمه ومعاشرته للناس من أهل بلاده وغيرهم ، لم تجنح نفسه للترف والتعظيم ، ولا للزينة والزخرف غير المعتاد أو المحظور شرعاً ، ولا للعظمة والكبرياء ، ولا للتمتع بالألقاب الضخمة ، ولا لتسمية أعوانه بالوزراء والحجاب ، ولا للانعام عليهم بالرتب وشارات الشرف ، كما فعل الملك حسين ، وكذا ولده عبد الله في إمارته الصغيرة الحقيرة التي هو فيها تحت سيطرة الأجانب وخدمتهم ، ولا بث دعاية لنفسه ولا لقومه في البلاد العربية ، ولا غيرها من البلاد الإسلامية ، لا باسم الوحدة العربية ، ولا بعنوان الجامعة الإسلامية ، ولا اصطنع جريدة ولا بذل للمادحين ولا للناقدين درهماً ولا ديناراً ، وهو لا يبالي بالأقوال (وإن كان يبالي بها ويهتم بأمرها سياسة الدول الكبرى ويبدلون في سبيلها الملايين) ومن المعلوم أن حاله غير حالهم ، وماله غير مالهم ، وبيئته غير بيئتهم ، وقد سخر الله له كثيرين يعملون للمصلحة التي يبغيها لا له ، فأغناه عن استئجار الأقاليم المنافقة وقد ناصبه الشريف حسين وأولاده العداء منذ صار أمر الحجاز بأيديهم وكادوا له وتحرشوا به مراراً كان أقواها زحف الشريف عبد الله على الخرما وطربة بأعظم قوة منظمة وجدت في الحجاز عقب استيلاء حسين على المدينة المنورة ، وخروج الجيش التركي منها بانكسار دولته ودول أحلافه ، فكسره الإخوان شر كسرة ، ومنزقوا شمل جيشه المنظم ، وفرّ هو منهزماً يحاكي الإخوان من الوهابية في زبهم وكلامهم ، حتى صرح له والده بأنه كان يفضل قتله على نجاته بهذه الصورة المزرية . ولم يكتفوا بخزي هذه الكسرة الشائنة ، فتحرشوا بالنجديين بعد ذلك مراراً ، ومنعهم الملك حسين من أداء فريضة الحج ، وضيق على تجارتهم حتى منعها من الحجاز وأسرف في الكيد والدسائس لسلطانهم ، والسعي لإعادة إمارة ابن الرشيد ، في نجد وإمارة آل عايض في عسير وضمهما إلى الحجاز ، بل وضع بناء سياسته في

جزيرة العرب على أساس تقسيم السلطنة النجدية والبلاد اليمنية الى عدد إمارات ، تابعة لملك واحد (أي له) في السياسة والعسكرية ، والشؤون العامة ، وبالغ هو وأولاده في احتقار السلطان عبد العزيز بن السعود ، حتى أن أضعفهم أجير الانكاي في مديرية شرق الأردن لا يعبر عنه إلا بشيخ عشائر نجد ، دعى طعنهم في دينه ودين قومه على حد تعبير مادر لحاتم الطائي بالبخل ، ...

وقد عاملهم هو بأخلم الواسع فلم يزد هم حمله إلا بغياً وغروراً ، حتى اذا قامت عليه الحجة بوجوب انتقاذ الحجاز من ظلم حسين وإلحاده في الحرم على ما أفتينا به بناء على الأخبار التي تواترت برواية الكثير من الحجازيين والافقيين من الحجاج وغيرهم ، وقرر ذلك مؤتمر الشورى الذي عقد في الرياض عاصمة نجد أمر بالزحف على الطائف التي هي أمنع معاقل الحجاز ، ومركز أكبر قوته العسكرية ، فزحف الاخوان من متدنية الحجاز ونجد ، فأخذوا الطائف عنوة ثم ماوراءه من المعاول الحصينة ، وأعظمها الهدى وكري ، وفر الشرب بن علي القائد العام وولي عهد الحسين كما فر أخوه قبله من بأس الاخوان ، واستأذن قائد الجيش — وهو الشريف خالد بن لؤي أحد شرفاء مكة — من السلطان بالزحف بمن معه على مكة المكرمة وغيرها ، ولو أذن لهم لاستولوا على كنوز الملك حسين وذخائره كلها ، وانتهى أمر الحجاز كله في شهر أو شهرين

ولكن هذا السلطان العاقل الحليم الصبور أمر بوقف الزحف حتى يحضر بنفسه إذ بلغه أنه قد وقع من الاخوان في الطائف شذوذ مخالف للشرع بقتل بعض الأهالي غير المقاتلين ، وسلب بعض الأموال ، فخاف أن يقع مثل ذلك في أرض الحرم — ولأنه لا يستحل القتال في الحرم على ما فيه الخلاف كما بيناه في الفتوى المشار اليها آنفاً ، فأمر بانتظاره حتى يحضر هو بنفسه ، وكان يمكن الزحف على جده ، أو قطع الطريق على الملك حسين بينها وبين مكة المكرمة ، ولكنه لم يأذن بذلك أيضاً ، وقد شرحنا ذلك من قبل

ثم انه — أي السلطان — جاء بنفسه وأمهل الملك حسيناً حتى فرّ بأمواله وذاخائره الى جدة ، فاستولى على مكة سالماً ، ودخلها هو ومن معه محرمين بالعمرة ، ثم أفرط في الثاني والتريث حتى كان ما كان من تحصين الشريف علي لجدة ، ووضع حامية في حصون المدينة المنورة ، وكان قد تألف فيها حزب وطني نصبه ملكاً دستورياً على الحجاز باذن والده ، وقد اختار السلطان عبدالعزيز حصار جدة على مناجزتها خلافاً لكثير أنصاره وأوليائه من النجديين وغيرهم ، وصابرها أكثر من سنة حتى سقطت من تلقاء نفسها ، وكان قد حاصر حامية المدينة المنورة أيضاً ، فاستسلمت قبل استسلام جدة بأيام كما علمه الخاص والعام ، فكانت العاقبة حسنة على ما كان في الوسائل من الأغلاط ، وتم « شيخ عشائر نجد » الاستيلاء على جميع الحجاز مع عسير ، وصار ملكه ممتداً من البحر الأحمر الى خليج فارس ، ولم يزد هذا كله الا خشية لله تعالى وتواضعاً للناس ، وتزهوا عن الدعوى والتنفج والتبجح الذي عهدناه من غيره :

(٢)

الشريف حسين وأولاده

وأما حسين بن علي شريف مكة وأميرها فملكها فمدعي ملك العرب فمنتحل الخلافة الاسلامية فقد فتن هو وأولاده بحب المجد الكاذب ، والمالك الصوري في ظل الاجانب ، فأجمعوا أمرهم على جعل البلاد العربية تابعة للدولة البريطانية ليكونوا خلفاء وملوكاً في ظلها ، لعلمهم بأنهم من حيث هم هم ، كاهباء أو كالعديم لا ظل لهم ، وأنه ليس لهم عصبية قومية يتملكون في ظلها ، وأنه لم يكن لهم ولا لسلفهم من أمراء مكة حسنة في الحرمين الشريفين في علم ولا عمل يستميلون بها أهل الحجاز ولا غيرهم من العرب أو المسلمين بتنميتهم العود إلى مثله ، بل لا يحفظ

التاريخ عنهم منذ بضعة قرون إلا الظلم والاحقاد في الحرم . وإنما كان أمراء مكة ينصبون من قبل الدولة المصرية ثم الدولة العثمانية ويظهرون الناس من حجاج وحرمين في ظلهماء ،

وقد انتفخوا في هذا الزمن كبراً وعتواً وغروراً بما كان من ميل الانكايـز الخادع لهم ، حتى لم يبق في أدمغتهم ولا قلوبهم أدنى ولا أصغر موضع لنصح ناصح ولا تذكير مذكر ، فقد نصحننا ونصح غيرنا الكبيرهم والصغيرهم بأنه لا رجاء لهم في حفظ سلطانهم في الحجاز إلا بقوة أمهم واتحادها وتضامنها ، وأن هذا الاتحاد لا يمكن حصوله في جزيرة العرب إلا على قاعدة الخلف بين حكوماتها المسلحة ، وأعظمها وأقواها حكومتا نجد واليمن ، وضمننا لهم إقناعها بذلك إذا رضي به حسين ، ولكن حسيناً لم يرض أن يتنزل درجة من عرش ساء عظموته وجبروته ، ولا أن يتحول خطوة عن جعل جميع البلاد العربية وفي مقدمتها اليمن ونجد خاضعة لامبراطوريته وخلافته ، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً ، وإنما كان قصارى وأضعفه أن يعد بالسماح لكل من إمامي اليمن ونجد باستقلال إداري في بعض البلاد الخاضعة لها الآن وهو ما كان خاضعاً لها قبل الحرب الكبرى . وهو على هذه الكبرياء والغرور والدعوى لم يتخذ للملكة قوة عسكرية تكفي لحفظ الحجاز من التعدي عليه . ولم يقدر أن يخضع قبائله لطاعته ، بل اكتفى من عظمة الملك بالألقاب والرتب الدولية وأسماء الوزارات الصورية ، والموسيقى الملكية ، فكان كما قال الشاعر :

* كاهن يحكي انتفاخاً صورة الأسد *

غر حسيناً وعود الانكايـز الخادعة لأنه يجبل تاريخ الهند ، وما هو أقرب منه

إليه وهو تاريخ مصر الحديث

ثم غر حسيناً مبايعة جمهور من الفلسطينيين والسوريين بالخلافة العظمى فظن أنه صار إمام المسلمين الأعظم ، وكان قبائلاً يحترم إمام اليمن وسلطان نجد ، فصار بعدها يحترم مصر والهند ، ويقول فيها ما قال مالك في الخمر ، بل صرح بتكفير

المصريين وشبههم بالأفغان ، وضد حكومتهم عن ارسال ركب الحج وما يتبعه من الأموال والأرزاق إلى أهل الحجاز ، وألف لجنة لتضع له المطاعن في بعض الكتب الاصلاحية ومؤلفيها من المتقدمين والمتأخرين ليلبغ العالم الاسلامي الامتناع من قراءتها بما له من السيطرة الدينية بزعمه لانتحاله لمنصب الخلافة ؟ والدعاوي العريضة التي كان يتمتع بها نفسه بما ينشره في جريدته (القبلة)

ومما زاد حسينا غروراً بنفسه تلك الكنوز التي كنزها من مال الرشى الذي أفاضها عليه الانكليز وعلى أولاده في عهد الحرب فقد بلغ كما روي عن (مستر لورانس) المستشرق الذي كان يدير دفعة سفينة اشرفاء في لجج الصحراء ثمانية وأربعين مليوناً من الجنيهات الذهبية ، وما كان يبتزّه من مال السحت في كل عام من الحجاج وأهل الحجاز جميعاً ، وقد بينا أنواعه في الخطاب العام الذي نشرناه في المنار

ومما زاده وزاد أولاده غروراً تزلف كثير من المنافقين لهم ، واصطناعهم لبعض الجرائد العربية التي تطريهم وتدافع عنهم ، وتغش الناس بهم ، وتجعل سيئاتهم حسنات ، وتهون أمر خصمهم ، وتنفر العرب والمسلمين منه ، ولا سيما سلطان نجد وقومه ، وفي مقدمة هذه الجرائد المقطم الذي ثبت على امداد حسين فعلي في النفي والغرور ، ونصره دعايتها بالافك وقول الزور ، فصبراً وصابراً الى أن قضى الله عليهما ، وأدال لخصمهما منهما ، ولم يستفيدا من هذه المصابرة الا خسارة المناطير المتنطرة من الذهب التي جمعها من السحت والظلم . وفضيحتهما فيما اختلقا واختلق لهما أنصارهما من الطعن في ابن السعود وقومه ،

دعاية المقطم لحسين وأولاده

أسرفت جريدة المقطم في الدعاية الحجازية ، وسمحت لأحد محرريها بلقبه المنوط به التوسع في المسائل الشرقية أن يرخي لنفسه العنان في هذا الميدان ، فيقول ماشاء من أبناء معزوة وغير معزوة ، وآراء معقولة وغير معقولة ، ولم تعد تحسب

لما يكشفه المستقبل حساباً . فكانت في الدعاية لهؤلاء الجاهلين مثلهم على ما أوتي أصحابها من علم وخبرة وتجارب ، ولا نبحث هنا عن علة ذلك وسببه من سياستهم ، ولا فيما هنالك من معاملة مالية بينها وبينهم .

دع ما أذاعوه عن موت ابن السعود بالسل ، ودع تأويل أ كذوبتهم بعد ظهورها بأنه مسلول في الدرجة الأخيرة التي لا تطول معها الحياة ، فإن هذا وذاك مما عذرناه نحن محتملاً للصدق ، حتى كذبت له أنباء البرق ، وتذكر أن كنت ناسياً ما كانت تنشره من أخبار قوة الملك علي الحربية ، من جيوش نظامية وبدوية ، وأسلحة لا تقل عن أسلحة الجيوش الألمانية ، من سيارات مدرعة ، ودبابات مروعة ، وطائرات مسلحة تحلق في الجواء ، وأساطيل مواخر في الدماء ، وجحافل تهرى حتى يكاد يضيق بها رحب الفضاء ، ومن سعي الملك علي الدستوري (؟) تارة للصلح على ما أوتي من قوة وبأس شديد ، كراهة لسفك الدماء ، وإثارة للعودة على البغضاء ، واحتراماً لأرض الحرم المقدسة ، وعزمه تارة أخرى على مطاردة الوهابيين وانزعاع الحرم منهم بالقوة ثم الزحف على بلادهم ، أو يدخل بلدة الرياض عاصمة سلطنتهم ،

« هذا من جهة أو من الجهة الواحدة ومن جهة أخرى » — كما تعبر المقطم — أن ماعليه الإخوان الوهابيون من الفقر والعوز ، وقلة السلاح والذخيرة ، والحرم من النظام والدربة ، ومن وقوع الشقاق بينهم ، وخروج بعض القواد على سلطانهم ، واشتعال نيران الفتن في عقردارهم ، والأخطارات التي تساورهم من القبائل التي في جوارهم ، كل ذلك من آيات خذلانهم وسوء عاقبة سعيهم .

ومن جهة ثالثة — وإن لم تكن من هجيري الكاتب — إن ولي عهد امام اليمن قد خطب قومه يغريهم بالوهابيين المخالفين في الدين ، والمنابذين للزيديين ، وأن هبوات الزحف اليمنية ، وقسطل سنابك الخيل الزيدية ، ستغشى بلاد الحجاز من الجنوب ، فتتلاقى مع جمحافل الحجاز من الشمال ، وتلتف حول هؤلاء

الشراذم من الاخوان ذات اليمين وذات اليسار ، فتحيط بهم من كل مكان ، حتى لا يتفلت منها إنسان — ومن مزايم المقطم في هذه الجهة أن سلطان نجد لم يدع الامام يحيى الى مؤتمر الحجاز ، والحق أنه دعاه ، وأنه أول من أجاب الدعوة ومن جهة رابعة أن العالم الاسلامي سيكون إلماً واحداً على هؤلاء الوهابية تشيعاً للأسرة الهاشمية ، كما تقتضيه معارف محوري المقطم الاسلامية ، ولا سيما بعد أن اتهمهم الصادق المصدق الصديق الملك علي الهاشمي الدستوري وكتاب دعايته بهدم القبة الخضراء ، المظلمة لقبر سد أفضل من أظلمت السماء ، وأقلت الغبراء ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله الأصفياء ، وأصحابه الأواباء ، وبهدم قبر سيد الشهداء ، (حمزة رضي الله عنه) الخ

ومن جهة خامسة أن مما انفرد به المقطم دون أجراء دعاة البيت الهاشمي على الاختلاق تلك المواد التي صورها للمؤتمر الذي عقد بين السلطان والجنرال جلبرت كلايتن ومن معه من مندوبي العراق لتسوية الحدود بين نجد وبين العراق وشرق الاردن ، فقد ادعى المقطم أنه وقف على ما تقر فيها ونشر مواد تنفر العالم الاسلامي من سلطان نجد كذبتها الحكومتان الانكليزية ثم النجدية ، ولكن بعد أن صدقها الكثيرون في الشرق والغرب وتقلتها عنه صحف كثيرة لا يخطر في بال أصحابها ان المقطم تكذب كذبا صريحاً في أمثال هذه المسائل التاريخية الرسمية ويشبه هذه المواد في ظهور كذبها بعد نشرها تلك المواد التي لفتها ، والشروط التي زورتها ، في شأن تسليم الملك علي للسلطان ابن السعود في جدة ، وكانت إحدى الجرائد ظنت أن المقطم تلقاها من الوكالة العربية فنقلتها وعزتها الى الوكالة فنفاها الشيخ عبد الملك الخطيب وتبرأ منها . ثم جاءت جريدة أم القرى المكية ناشرة للشروط الرسمية فعلم كذب شروط المقطم الفاضح ، وأنا لا أعتقد أنها لفقت في إدارة المقطم وإنما الراجح أن رجال الملك علي الذين فروا من جدة لقنواهم هذه كما ان مندوب الملك فيصل في مؤتمر بحره هو الذي اختلق لهم شروط

مؤخر بحرة . وذنّب المقطم أنه أباح لهم صفحته على ما يعلم من كذبهم وحمل تبعته
بنشره باسمه وجعله من معلوماته الثابتة عنده

ومن جهة سادسة — والجهات الحساسة ست — أنه كان مثاهم يجمع بين
التناقض والأضداد. فينشر لهم ما يغشون به أمتهم العربية وماتهم الاسلامية
من إيهام استقلالهم وعملهم لاستقلال الامة ، وضم الوهابية وسلطانهم ، ثم ينشر
بعض الاخبار ولا سيما الرسمية المكذبة لهم ، ويكتب ما يمكن كتابته من التصاقهم
بالدولة البريطانية وجعل الحجاز تحت حمايتها حتى أن حسيناً لم يترب بخروجه
من الحجاز منذوماً مدحوراً ، ثم من العقبة ملوماً محسوراً ، وانتباذه في قبر عن
مغموماً مشوراً ، وخذلان « العظمة البريطانية » له كأن لم يكن شيئاً مذكوراً ، لم
يترب بهذه العاقبة السوءى فظل يأوي إلى ظل ماسماه « مقررات النهضة » من
حماية الانكليز لمملكته الوهمية من الداخل والخارج ولا سيما بعض « الأمراء
الحاسدين » فكتب إلى رئيس الوزارة البريطانية يعاتبه ويطلبه باخراج ابن
السعود من الحجاز ، وقد رد عليه اوزير رداً شديداً ونشر المقطم كتاب الملك
الخدوع ورد اوزير عليه . فأين هذا مما كان قد نشره من تصريحه بأن استيلاء
ابن السعود على الحجاز أثر عنده من تدخل الانكليز في شؤونه ؟

وكذلك كان فعل ولده علي صرح بمثل هذا التصريح ونشر له المقطم وغيره
أقوالاً توهم حرصه على الاستقلال المطلق دون الأجانب وتفضيل ابن السعود
عليهم ، كما أنه قد ثبت أنه كان يسعى لجعل الحجاز تحت حماية الانكليز رسمياً
بشرط أن يخرجوا ابن السعود منه ، سمعنا هذا أولاً من الوفد الهندي الذي كان
في جدة وقد عرفوه من قنصل الانكليز فيها . ثم سمعناه ممن قدم بعد ذلك من
جدة كالكتور خالد الخطيب الذي كان رئيس مصلحة الصحة عند علي . وثبت
أيضاً أنه كان يسعى لرهن جمر كجدة لدولة أجنبية تقرضه مليون جنيه لتابعة قتال
ابن السعود . وثبت أيضاً أن أخاه الملك فيصل سعى له هذا السعي لدى الدولة
البريطانية ، ثم الدولة الفرنسية عند زيارته لهما في الصيف الماضي . وقد خاب السعي
لديهما ولدى الدولة الايطالية أيضاً ، ولو تم لكان سبباً لعبث الدولة الاستوائية

على الجمر كباستقلال الحجاز ، واحتلالها لثغره الأعظم الذي هو مدخل أكثر الحجاج وقد كان كل انتصار لها خذلاً لنا ووبالاً عليها ، ونكلاً وفضيحة لها ، وسبباً لخسارتها أكثر مما جمعا من مال السحت والخيانة .

ونذكر ههنا على سبيل الاستطراد زيارة الملك فيصل عاصمة فرنسة التي طرده من سورية أقبح الطرد في الوقت الذي كانت مدافعها تدمر مدينة دمشق وغيرها لأجل اقناع حكومتها بنصب أخيه زيد ملكاً عليها ، واقناعها بأن هذه هي الوسيلة الوحيدة لتوطيد سلطتها الاستعماري فيها ؟

هذه جملة موجزة من سيرة الملك العربي الفعال ، وسيرة ملوك الدعاية القوالين ، وسياسة الاستعمار الأوربي في البلاد العربية ، ولما نشره المقطم من الدعاية الباطلة لهم ، لخصتها وأوردت بعضها بعبارة شعرية أو كالشعرية لتلائم الأسماع قراءتها ، إذا هي ذلت بعبارتها ، بعد أن اطلعوا عليها في أوقاتها ، ونحن نحفظ قصاصات المقطع المأثورة لها . وإنما كتبناها للعبارة بها ، والتحذير من مثلها ، فإننا نرى أن دعاية تفساد الهاشمية لم تلتئم بانتهاء أمر الحجاز ، وبلغنا أن رئيس حكومتي حسين وعلي السعديين نقل ذلك عن دار المندوب السامي بمصر وأن الملك علياً أعطى بعد وصوله إلى العراق مائة وخمسين ألف جنيه لتنظيم دعاية جديدة فننصح لمن بعينهم أمر الحجاز من العرب بوسائل المسلمين أن يكونوا على حذر ، ويتكاتفوا ويتعاونوا على وقاية مهداتهم وديارهم من الخطر ، وأن يقارنوا بين تينك السيرتين بالأعمال فانهما لا تقبل التضليل كالأعمال الويفكروا فيما يجب في الحال لحسن العاقبة والمآل

﴿ خاتمة كتاب ملوك العرب لأمين الريحاني الكاتب الشهير ﴾

وهي خلاصة اختياره من خشي سنة ١٣٤٣ هـ ١٩٢٤ م

رعية الملك حسين تطيعه وتخافه

» ابن سعود » ونجبه

» الامام يحيى » دون حب ودون خوف

» الملك فيصل لا تخاف ولا تحب ولا تطيع إلا مكرهه

فمن من الملوك المذكورين في شبه الجزيرة يستحق أن يسود العرب ؟

فهرست كتاب الوهابيون والحجاز

ص	
٢	مقدمة الكتاب
٩	المقالة الاولى . الوهابيون والحجاز
١٠	طعن أمراء مكة في الوهابيين
١١	بيان الوهابيين لمذهبهم
١٢	عتيدة الوهابيين في النبي (ص) وزيارته
١٣	شهادة التاريخ للوهابيين
١٦	محادثة الامير سعود لعلماء المغرب الاقصى
١٨	المقالة الثانية في بيان الاسباب العامة لنحف الوهابيين على الحجاز
٢١	إصرار الشريف الحسين على موالاة الاجانب على العرب
٢٤	جعله الحجاز دولة عربية ونفسه ملكا للعرب
٢٥	تصريحه بعزمه على إخضاع نجد واليمن للملكة بالقوة
٢٦	ظلمه للحجازيين والحجاج وادعائه الشرع
٢٧	المقالة الثالثة ، الاسباب الخاصة بنجد لنحف أهلها على الحجاز
٢٨	امتناع الشريف الحسين من التحالف العربي ووقاه الوهابيين
٢٩	عداوته لابن سعود وطعنه في الوهابيين
٣٠	تصريحه بعزمه على قتالهم
٣٢	كلمة مؤرخ مصري في سبب العداوة بين نجد والحجاز
٣٣	أشهر وقائع تعدي الحجاز على النجديين
٣٤	بث الشريف حسين الدسائس في نجد واغراءه جيرانها بها
٣٥	احباطه لمؤتمر الكويت
٣٦	المقالة الرابعة ، الوثائق الرسمية لنجد على طاغوت الحجاز
٣٨	قرار مؤتمر نجد بشأن الحجاز و ٥٢
٤٠	فتوى صاحب الكتاب بالشريف حسين الملك
٤٢	سبب تأخر الوهابية عن أخذ مكة
٤٣	خروج الشريف الحسين من الحجاز واستئجار ولده للانكيز
٤٤	المقالة الخامسة : ما ينبغي للمسلمين علمه وعمله في الحجاز
٤٥	سبب جعل الحجاز للمسلمين وحدهم
٤٦	غربة الاسلام واعتصامه بالحجاز

ص	
٤٧	سياسة الانكاز في الشرق والاسلام
٤٩	تشاؤمهم من سقوط حكومة الحجاز
٥٠	ما يجب على المسلمين في مسألة الحجاز
٥١	انحصار ائمة الحجاز من الوهابيين
٥٣	ما يجب في حكومة الحجاز وحياده
٥٤	المقالة السادسة ، ماذا يفعل الوهابيون بالحجرة النبوية وقبة الحرم الشريف
٥٩	المقالة السابعة - بدع القبور ومساجدها وقبابها
٦٧	الوهابيون والحجاز ، عود على بدء ، المقالة الاولى : مقدمة
٦٨	اتكال الشريف الحسين وأولاده على الانكاز
٦٩	أسباب عقد المعاهدة النجدية الانكليزية
٧٠	ما ينتقد على المعاهدة النجدية الانكليزية
٧٢	المقالة الثانية - تفصيل القول في المعاهدة
٧٣	مواد المعاهدة البريطانية النجدية
٧٥	مصلحة العرب في انقاء الاجانب نهضة الوهابيين
٧٦	نهضة آل سعود بالاصلاح وما آلا اليه
٧٧	ما استفادته ابن سعود والانكاز من المعاهدة
٧٨	لاخوف على نجد من الانكاز
٧٩	الوهابيون والحجاز ، عود على بدء
٨٠	خبر طالب بك النقيب مع ابن السعود
٨١	استغلال ساطان نجد دون الانكاز وغيرهم
٨٢	اختيار الشريف الحسين وفيصل للسيادة الانكليزية
٨٣	خداع الامير فيصل وخيائنه
٨٤	تحليل الشريف عبد الله شرق الاردن للانكاز
٨٥	نواطئ الشريف الحسين وابنه علي على أمر الحجاز
٨٧	الحجاز والعرب - بين السلطان العاهل الصامت وملوك الدعاية القوائين
٨٨	ما يخص سيرة السلطان ابن السعود
٩٢	ما يخص سيرة الشريف حسين وأولاده
٩٤	دعاية المنظم للشريف حسين وأولاده